دكتور
محمد رمزي أحمد فواز

فرقة البهرة في الميزان

الطبعة الأولى
١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م

دار الطباعة المحمدية
٣ درب الأتراك بالأزهر

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الواحد الأحد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد. بديع السموات والأرض الحكيم الخبير، يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور، لا تخفى عليه خافية فى الأرض ولا فى السماء، منزه عن الشريك، لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير، وهو جل ذكره القائل فى كتابه «فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم ومن أضل ممن أتبع هواه بغير هدى من الله إن الله لا يهدى القوم الظالمين» سوره القصص الآية ٥٠.

والصلاه والسلام على سيدنا محمد الهادى البشير، والنذير المبين، المؤيد بالمعجزات، خاتم الأنبياء والمرسلين، هاد الأمة وكاشف الغمة، ورضى الله تعالى عن جميع أصحابه الطيبين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإن قوما قد ضلو الطريق، وابتعدوا عن المنهاج الواضح المستقيم، وزاغت أفئدتهم، وعبث بهم الهوى والشيطان، واستجابوا لنعرات خصوم الإسلام وبخاصة اليهود والنصارى، فانتسبوا إلى الإسلام فى ظاهر حالهم، وفى باطنهم حقد وغيظ على الإسلام وأهله فانتحلوا أفكارا غريبة عن الإسلام، وحاولوا — وما زالوا — دمجها فى الإسلام بقصد التشويش على المسلمين، وتعكير صفو عقيدتهم السمحة، والنيل من الإسلام والمسلمين، وإعاده أمجاد جاهلية كانت لهم قبل الإسلام،

والوقوف أمام المد الإسلامى، وأيضا تمزيق الأمة الإسلامية، ومن ثم إضعافها، وعدم قدرتها على مواجهة خصومها الألداء، وتعاونوا على الإثم والعدوان مع أعداء الإسلام، ومكروا ودبروا وخرجوا من كيدهم ومكرهم بأن تدخل مجموعة الإسلام فى الظاهر ثم يكيدون ويخططون كيف ما شاءوا، ولا يشعر بهم أحد، ودخلوا من أبواب الغلو فى الدين، وبخاصة من باب حب آل بيت رسول الله ﷺ، وقد أدركوا كم ولاء المسلمين لرسول الله وآل بيته، فجاءوا بالتشيع لآل البيت وبخاصة التشيع لعلى بن أبى طالب وأولاده، وكل ما ينسب إليهم، فعلى عندهم هو الخليفة بعد رسول الله ﷺ بل غال بعضهم فجعله هو النبى إن لم يكن هـو الإله، والإمام معصوم عندهم ولا يخطىء وأخذوا فى الإسراف شيئا فشيئا حتى خرجوا بتلك الأفكار البالية عن ربقة الإسلام، وانكشفت سوآتهم، وافتضحت عقائدهم، وأساليبهم. وأنا أقدم من خلال هذا الكتيب بعض الأفكار التى عششت فى رؤوس بعض هـذه الفرق وهى فرقة البهرة فذكرت فى التمهيد بعض النصوص القرآنية والنبوية التى تحث المسلمين على الوحدة وعدم الإختلاف والشقاق فيما بينهم، ثم أشرت إلى أسباب الخلاف والشقاق بين المسلمين، وبعدها هـذا تناولت فرقة البهرة من حيث أصلها ونسبتها، ومن أين جاءت وإلى أين ذهبت، ثم تناولت بعض الأماكن التى يقيم فيهـا أفرادها الآن فى العالم وبخاصة فى مصر، وتناولت بعض معتقداتهم سواء إعتقادهم فى الله أم فى الأئمة عندهم، أم تأويلاتهم، وموقفهم من الصحابة، وبعض أساليبهم فى الدعوة إلى ما يذهبون إليه، وحكم الإسلام فى كل هذا.

والله الهادى إلى سواء السبيل ؟

الدكتور / محمد رمزى أحمد نواز

تمهيد

إن الدين الإسلامى بعقيدته السمحة ، وجلائها الواضح ، وكذا عباداته ومعاملاته وتشريعاته ، وأخلاقه ، يدعو إلى وحدة الأمة الإسلامية ، فالإله واحد ، والرسول واحد ، والقرآن واحد ، والقبلة واحدة الخ . ونصوص القرآن الكريم ، والسنة المطهرة ناطقان بهذا ، وهى من الكثرة التى تجعل من أمر وحدة المسلمين واجب لا يجوز الخروج عليها بحال .

نصوص من القرآن الكريم :

والآيات من الذكر الحكيم فى شأن وحدة الأمة لها اتجاهان أساسيان :

الأول : حث الأمة على الإعتصام والألفة والتعاون والإخاء .

والثانى : تنفير الأمة من الشقاق والإختلاف والتفرق .

وهذان الإتجاهان الأساسيان جاء مثلهما فى السنة الشريفة .

وذلك لإحاطة الأمة بسياج قوى من أن يتسرب أو يتسلل إليها عوامل التفرق والصراع وما يفرزانه من عواقب مهلكة للأمة .

نصوص قرآنية توجب الوحدة :

١ - يقول تبارك وتعالى « إنما المؤمنون أخوة »[1] .

٢ - ويقول جل ذكره « وتعاونوا على البر التقوى »[2] .

---

(١) سورة الحجرات آية ١٠

(٢) سورة آل عمران آية ١٠٣

٣ — ويقول جل ثناؤه «واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا»[1].

٤ — ويقول سبحانه وتعالى «وإن هذه أمتكم أمة واحدة»[2].

ولأمر ما جاء تكرار الآية الأخيرة فى موضع آخر.

٥ — يقول سبحانه وتعالى «إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون»[3].

والآيات كثيرة فى هذا.

نصوص قرآنية تحذر من التفرق :

١ — يقول تبارك وتعالى «إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم فى شىء إنما أمرهم إلى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون»[4].

٢ — ويقول جل ذكره «ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم»[5].

٣ — ويقول جل ثناؤه «وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين»[6].

٤ — ويقول سبحانه وتعالى «شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم إليه الله يجتبى إليه من يشاء ويهدى إليه من ينيب. وما تفرقوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم»[7].

---

(١) سورة المائدة آية ٢ (٢) سورة المؤمنون آية ٥٢

(٣) سورة الأنبياء الآية ٩٢ (٤) سورة الأنعام الآية ١٥٩

(٥) سورة آل عمران الآية ١٠٥ (٦) سورة الأنفال الآية ٤٦

(٧) سورة الشورى الآيتان ١٣ ، ١٤

والآيات كثيرة فى هذا الشأن .

نصوص نبوية شريفة :

١ — «عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبيع بعضكم على بيع بعض وكونوا عباد الله إخوانا المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره» التقوى ههنا ويشير إلى صدره ثلاث مرات ، بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم ، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه»[1] .

٢ — «وعن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: تفتح أبواب الجنة يوم الاثنين ويوم الخميس فيغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيئا إلا رجلا كانت بينه وبين أخيه شحناء فيقال : أنظروا هذين حتى يصطلحا ، أنظروا هذين حتى يصطلحا ، أنظروا هذين حتى يصطلحا»[2] .

٣ — «وعن أبى هريرة — أيضا — قال : قال رسول الله ﷺ : إن الله يقول يوم القيامة : أين المتحابون بجلالى اليوم أظلهم فى ظلى يوم لا ظل إلا ظلى»[3] .

٤ — «وعن أبى هريرة عن النبى ﷺ : أن رجلا زار أخا له فى قرية أخرى فأرصد الله له على مدرجته — أى طريقه — ملكا فلما

---

(١) أخرجه مسلم فى كتاب : البر والصلة والآداب، باب : تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ١٦ / ١٢٠

(٢) أخرجه مسلم فى الكتاب السابق ، باب النهى عن الشحناء ١٦ / ١٢٢

(٣) أخرجه مسلم فى الكتاب السابق ، باب : فضل الحب فى الله ١٦/١٢٣ ، ١٢٤

أتى عليه قال : أين تريد ؟ قال : أريد أخالى فى هذه القرية ، قال : هل لك عليه من نعمة تربها ، — أى تقوم باصلاحها وتنهض إليه بسبب ذلك قال : لا ، غير أنى أحببته فى الله عز وجل ، قال فإنى رسول الله إليك بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه »[1]

والأحاديث الشريفة أكثر من أن تحصى هنا . والذى أود أن أشير إليه أن القرآن والسنة بينا بكل جلاء منافع وحدة الأمة ، ومضار تفرقها وتمزقها . فضلا — كما سبق — أن كل التشريعات الإسلامية تسفر عند تطبيقها الوحدة،[2] ولقد طبقت فى العهد الذهبى للاسلام — فى عهد رسول الله ﷺ والخلفاء الراشدين ، وأعطى أجمل النتائج، أدرك المسلمون الأوائل مرامى هذه النصوص، وقاموا بتنفيذها ، فشع نور العلم، وسادت بين أفراد الجماعة المسلمة الوحدة، وعم الصفاء ، والسلام النفسى والاجتماعى، والعزة والكرامة عنوان الأمة ، وقد يختلفون فى أمر من أمور الدنيا — وقد حدث — لكنهم — مع هذا لم يكفر ، ولم يقتل ولم يسب بعضهم بعضا، كما لم يتآمر بعضهم على بعض.. وكانوا قمة فى الترفع والأخلاق السامية ، ولم يختلفوا ويتناحروا فالمبادىء واحدة وكذلك الغايات ، والدين الإسلام كل أحكامه ممزوجة بالألفة والوحدة .. ثم جاء من بعد هؤلاء الأوائل الأفذاذ خلف ، جعلوا دينهم لأهوائهم وأطماعهم، ولبوا أبواق أعدائهم ، وأهملوا فى كثير من أحكام الإسلام، فتفرقت بهم السبل وتمزقت غاياتهم ، وضلوا الطريق السوى ، فكفر بعضهم بعضا ، وسب بعضهم البعض الآخر ، وأصدروا أحكاما على كثير من الرجال الأبرار

---

(١) أخرجه مسلم فى الكتاب السابق ، باب : فضل الحب فى الله ١٢٣/١٦ ، ١٢٤

(٢) هذه عناصر الواحدة الحقيقية ، وغيرها لا يجدى إلا القليل لوقت قليل

تقلل من قدرهم ، وتشكك فى منزلتهم ، وانتقلت المعركة بينهم من التكفير والسب والطعن إلى حمل السلاح ، لا لمحاربة عدوهم المتربص بهم ، بل لسفك دماء بعضهم البعض ، فتفرقت الأمة الواحدة ، وطمع فيها العدو ، وتخلفت عن ركب التقدم ، وصارت شيعاً وأحزابا . وكل حزب بما لديهم فرحون . وهذا التمزق والتقاتل له عدة أسباب رئيسية .

أسباب التفرق :

١ — الجهل بالإسلام ، ونصوصه الواضحة فى وجوب وحدة الأمة وفوائد ذلك .. وتنفيره من التمزق والاختلاف ومفاسد ذلك .

٢ — حقد خصوم الإسلام من مبشرين — منصرين — ومستشرقين ومستعمرين ونفخهم فى اختلافات بعض علماء الأمة حول بعض الفروع وجعل هذا إختلافا أساسياً .

٣ — انتشار نور الإسلام فى ربوع الدنيا ، ودخل فيه من أضمر الحقد والعداء للاسلام والمسلمين لأغراض دفينة فى نفوسهم .

٤ — احترام الإسلام للعقل الإنسانى ، واعطائه الحرية فى التفكير ، فاستغل البعض هذه الحرية للطعن فى الإسلام ورجاله الأوائل بقصد التقليل والتشكيك فيهم ومن ثم فيما نقلوه إلينا .

٥ — الفراغ والصراع الذى تعيشه كثير من البلدان الإسلامية ، وذلك ناتج عن تنحية كثير من الأحكام الإسلامية أو على الأقل تهميشها.

٦ — رغبة بعض المسلمين - لقلة إيمانهم — بنقل أحكام أجنبية غربية وإحلالها محل الميراث الإسلامى .

٧ — محاولات أعداء الإسلام المستميتة أن يكون عداء الإسلام من أبناء من ينتمون إلى الإسلام فى الظاهر — وتغذية هؤلاء المناوئين

للاسلام بإحياء النعرات المذهبية والقبلية والعصبية الجاهلية ، وإغراقهم بالفكر المضاد للاسلام بأساليب مضللة .

فمن خلال هذه الأسباب وغيرها ، ومن وسط هذه الأجواء نشأت اختلافات عديدة ، واتجاهات متباينة ، وتيارات متناقضة ، كما وجدت الفرق والمذاهب المنحرفة أرضاً خصبة لنشأتها ، وأتناول بشيء من التفصيل في هذا الكتيب إحدى هذه الفرق والتي تنتمي إلى الإسلام .

فرقة البهرة :

معنى البهرة : بالكجراتية — وهي إحدى لغات الهند الحية — تاجر، وقد ضبطتها بعض المراجع بضم الباء [١] وهي فرقة من فرق الاسماعيلية المستعلية نسبة إلى إسماعيل بن جعفر الصادق [٢] وهو ابنه الأكبر ، وقد توفي في حياة أبيه جعفر سنة ١٤٣ هـ ومن المعروف عند الباحثين في الفرق — أن فرقة الشيعة قد تمزقت وتشعبت إلى فرق متناحرة عديدة [٣] ويذكر الأستاذ أحمد أمين اختلافهم راجع إلى سببين أساسين :

الأول : اختلافهم في المبادىء والتعاليم ، فمنهم المغالي المتطرف في التشيع الذي يسبغ على الأئمة نوعاً من التقديس ، ويبالغ في الطعن على من خالف علياً وحزبه إلى درجة الكفر ، ومنهم المعتدل المتزن الذي يرى أحقية الأئمة في الاعتدال وخطأ من خالفهم خطأ لا يبلغ الكفر [٤]

---

(١) انظر في الهند وقصة الباكستان ، محمد حسن الأعظمي ١٠٢/١ ، دار الفكر العربي .

(٢) توفي سنة ١٤٨ هـ

(٣) أحصاهم كثير من المهتمين بدراسة الفرق إلى اثنتين وعشرين فرقة، والعدد مازال في ازدياد انظر : المواقف في علم الكلام، عبد الرحمن ابن أحمد الايجي ص ٤٢١ ، مكتبة المتنبي :

(٤) وهذا ليس إعتدال ولا إتزان ولو لم يكفروا الأئمة قبل سيدنا علي

الثانى : اختلافهم فى تعيين الأئمة ، فقد أعقب على - رضى الله عنه - وأبناؤه كثيرين ، واختلف الشيعة فيما بينهم على الأئمة من ذرية على ، فنهم من يقول هذا ، ومنهم من يقول ذلك[١].

والإسماعيلية إحدى فرق الشيعة والتى تقول بإمامة اسماعيل[٢] بن جعفر الصادق، والإسماعيلية هذه انقسمت إلى فرقتين : فرقة تقول بإمامة إسماعيل ولا تتعداه إلى غيره ولو كان أحد أولاده ، وفرقة تقول بإمامة إسماعيل لكنها تتعداه إلى غيره ، وتقول: إن بعد موت إسماعيل انتقلت الإمامة إلى أحد أولاده وهو محمد بن إسماعيل ، وهذا — كما ترى — انقسام مبكر لهذه الفرقة ، واشتعل بين الإسماعيلية التناحر والشقاق ، حتى خرجت من الإسماعيلية فرقة الإسماعيلية الباطنية .. والذى أدخل الباطنية وتعاليمها إلى الإسماعيلية هو ميمون بن ديصان القداح ، وكان مولى للإمام جعفر الصادق ، وكان ممن يقول بإمامة محمد بن إسماعيل ، وجعل الإمامة له ولم يوقفها عند إسماعيل ، وأخذ — على ذلك — يدعو إلى إمامة محمد بن اسماعيل ، وأطلق على فرقته إسم : الميمونة[٣] وانضم بفرقته هذه إلى فرقة الخطابية ، والأخيرة كان يتزعمها أبى الخطاب.

وكان أبو الخطاب هذا مولى لبنى أسد ، وكان يقول وفرقته : أن

---

(١) ضحى الإسلام ٢١٠/٣ مكتبة النهضة المصرية .

(٢) أنظر : المرجع السابق ص ١٥١ ، والمواقف فى علم الكلام ، عبد الرحمن الإيجى ص ٤٢١ ، وإسلام بلا مذاهب د / مصطفى الشكعة ص ٢٢٥

(٣) هذه غير فرقة الميمونة التى من فرق الخوارج ، أنظر : الفرق بين الفرق ، للبغدادى ص ١٦٨ ، مكتبة البابى الحلبى.

الإمامة فى أولاد على ، وتزعم هذه الفرقة أن الأئمة آلهة ، أو على قول آخر أن الأئمة أنبياء ، وتمادى أبو الخطاب فى غيه حتى أدعى لنفسه الألوهية ، وظل على ضلالته هذه حتى قتله عيسى بن موسى سنة ١٨٣هـ[١] ومع أن الفرقتين — الميمونية والخطابية — انضمتا معا انضماما سياسيا ، إلا أن الغلو فى الخطابية تسلل إلى الإسماعيلية . وصارت — بهذا الإنضمام — مهيأة لقبول دعوة الباطنيه ، وتبنى تعاليمها[٢] . ولما تبنت الإسماعيلية دعوة الباطنية وتسلل إليها دعوة الخطابية عدها المؤرخون من فرق غلاة الشيعة[٣]، وقد أطلق العلماء على الإسماعيلية نظرا لتقلباتها المريبة سبعة ألقاب[٤]، فسميت (بالباطنية : لقولهم بباطن الكتاب دون ظاهره[٥] ، وبالقرامطة[٦] لأن أولهم حمدان قرمط ، وهى إحدى

---

(١) أنظر : المرجع السابق ص ١٥٠ ، ١٥٥

(٢) أنظر : غلاة الشيعة د / فتحى الزغبى ص ١٥١ ، مطابع غباشى طنطا .

(٣) أنظر : المرجع السابق ص ١٥١ ، والمواقف فى علم الكلام ، عبد الرحمن الإيجى ص ٤٢١ ، وإسلام بلا مذاهب د / مصطفى الشكعة ص ٢٢٥

(٤) تغير الفرق كثيرا من مبادئها وأسمائها وفق الأحوال السياسية المحيطة بهم .

(٥) سيأتى بعد ذلك إن شاء الله طرف من تأويلاتهم .

(٦) قاموا بأبشع جريمة فى تاريخ المسلمين ، وهى قلع الحجر الأسود من الكعبة المشرفة ، أنظر : الفرق بين الفرق للبغدادى ص ١٧٤ ، وإسلام بلا مذاهب د/ مصطفى الشكعة ص ٢٢٨ ، وغلاة الشيعة د / الزغبى ص ١٦٦

قرى واسط ، وبالخرمية : لإباحتهم المحرمات والمحارم ، وبالسبعية: لأنهم زعموا أن النطقاء بالشرائع — أى الرسل — سبعة : آدم ، ونوح ، وإبراهيم ، وموسى ، وعيسى . ومحمد ، ومحمد المهدى سابع النطقاء ، وبين كل اثنين سبعة أئمة يتممون شريعته ، ولابد فى كل عصر من سبعة ، بهم يقتدى ، وبهم يهتدى : إمام يؤدى عن الله ، وحجة يؤدى عنه ، وذو مصة يمص العلم من الحجة ، وأبواب : وهم الدعاة ، فأكبر: يرفع درجات المؤمنين ، ومأذون : يأخذ العهود على الطالبين ، ومكاب : يحتج ويرغب إلى الداعى كالكلاب الصيد ، ومؤمن يتبعه ، قالوا ذلك كالسموات السبع والأرضين ، وأيام الأسبوع ، والسيارة : وهى المدبرات أمرا ، كل منها سبعا ، وبالبابكية[1] إذ تبع طائفة منهم بابك الخـرمى بأذربيجان ، والمحرمة : للبسهم الحمرة فى أيام بابك ، أو تسميتهم المسلمين حميرا ، وبالإسماعيلية : لإثباتهم الإمامة لإسماعيل بن جعفر ، وقيل لإنتساب زعيمهم إلى محمد بن اسماعيل[2] .

---

(١) ينسبون أصل دينهم إلى أمير كان لهم فى الجاهلية اسمه شروين ويزعمون أن أباه كان من الزنج ، وأمه بعض بنات ملوك الفرس ، ويزعمون أن شروين كان أفضل من محمد ومن سائر الأنبياء ، وقد بنوا فى جبلهم مساجد للمسلمين يؤذن فيها المسلمون ، وهم يعلمون أولادهم القرآن لكنهم لا يصلون فى السر ، ولا يصومون فى شهر رمضان ، ولا يرون جهاد الكفرة . وللبابكية فى جبلهم — البدين بناحية أذربيجان — ليلة لهم يجتمعون فيها على الخمر والزمر وتختلط فيها رجالهم ونساؤهم بعد إطفاء السرج ، أنظر : الفـرق بين الفرق البغدادى ص ١٦١

(٢) المواقف فى علم الكلام ، عبد الرحمن الإيجى ص٣٢٢ ، وأنظر فضائح الباطنية للإمام الغزالى ص١١ حققه وقدم له/نادى فرج درويش ، المكتب الثقافى

نبذة تاريخية جغرافية :

مرت فرقة الإسماعيلية الباطنية بعدة مراحل سياسية، من حيث المكان والزمان . ومن حيث الدعاة ، وأيضا من حيث الظهور والتستر والتأويل ، وكذلك من حيث الأساليب التى يتخذونها للدعوة لمذهبهم ونحلتهم ... وقد كان أول من دعا إلى تأسيس دولة الإسماعيلية الباطنية، وكان أحد دعاتها هو : الحسين بن حوشب ، وقد استطاع أن يجمع حوله من آمن بالمذهب فى اليمن ، بعد أن تظاهر بالتقى والورع ، فأعلن أول دولة إسماعيلية فى التاريخ ، وكان هذا عام ٢٦٦ هـ . وأطلق على نفسه منصور اليمن[١] .

ويذكر المؤرخون أن رفيقه فى الدعوة وقيادة الجيش هو على بن فضل ، وكان له تأثير خطير على الناس ، وله سطوة نافذة على تغيير أفكارهم ، ومن صور ذلك أنه حلق رأسه ذات مرة لحلق موافقة له مائة ألف نفس ، وإزاء هذا التأثير والتأييد من الناس سولت له نفسه أن يدعى النبوة ، وقد أعفى أنصاره من فريضتى الصلاة والصيام ، وهذه الإنحرافات كانت بمثابة الإرهاصات العامة والأساسية لإنحرافات أخرى ظهرت عند الخلفاء الفاطميين الإسماعيليين فيما بعد[٢] .

كما سيظهر لنا فيما بعد فى معتقداتهم وأفكارهم ،

---

(١) أنظر : إسلام بلا مذاهب د/ مصطفى الشكعة ص ٢٢٩ ، الشيعة د/ عبد المنعم النمر ص ١٣٨ ، دار الحرية ط ١٤٠٨ هـ .

(٢) أنظر : إسلام بلا مذاهب ص ٢٣٠

وكان أول ما عرف إمام الإسماعيلية فى بلدة سليمة بسوريا ، وكان هذا الإمام هو عبيد الله المهدى ، وكان يعيش هناك مستترا ، ثم هرب إلى شمال أفريقيا ، بعد أن مهد له الطريق دعاة بن حوشب ، وقد إختار شمال أفريقيا دون اليمن وغـــيرها لأن هذا المكان متوسط ، ويمكن الإنتشار منه إلى أقطار أخرى من العالم الإسلامى إلى غير ذلك من أسباب إختيار شمال أفريقيا .

وقد كان لهم ما أرادوه ، وقد أطلقوا — الإسماعيلية الباطنية — على أنفسهم الفاطميين وذلك نسبة إلى السيدة الفاطمة الزهراء رضى الله تعالى عنها ، واستمالوا الناس ، ونشطت دعوتهم وانتشرت .

وإذا كانت هناك فكرة معينة وأريد لها الإنتشار أعدلها الدعاة وتبنتها دولة ما ، واتخذت من الأساليب الملتوية فإنها غالبا ما تنجح ، وهذا ما فعلته الدولة الفاطمة ، فقد تستر دعاتها ، واجتهدوا فى الدعوة إليها سرا فى البداية ، وأعدوا لأفكارهم ومذاهبهم الدعاة ، واتخذوا أساليب خطيرة ، وفوق كل هذا فقد أيدتها بقوة السلطان وسطوته . . وبهذا فقد أستطاعوا أن يقيموا دولة كبيرة ، وقد أسس عبيد الله[1]

---

(١) عبيد الله هذا الذى نسب إليه الإمامة لهذه الفرقة ، وهناك من العلماء من ينكر صلته بالإمام إسماعيل بن جعفر رأس الإسماعيلية إنكارا تاما ، ويذهبون إلى القول بأن عبيدالله ليس إلا إبنا لرجل يهودى كان حدادا بسلمية — بسوريا — فلما مات ذلك الحداد تزوجت أرملته أحد الأشراف العلويين فتربى هذا الغلام — ابن الحداد — فى منزله، فلما كبر الغلام إتخذ لنفسه النسب العلوى ولم يكن هذا الغلام — ابن الحداد — إلا عبيد الله نفسه . . وهناك رأى آخر يقول : إن عبيد الله من سلالة ميمون القداح ، ومعروف أن ميمون القداح وأبناءه كانوا من دعاة =

هذا أول دولة فى شمال أفريقيا عام ٢٩٧ ﻫ ، وهى التى عرفت فى التاريخ بالدولة الفاطمية ، وظل يرسم خططه للزحف شرقاً،وبعدنحوستين سنة فى المغرب نجحت جيوش هذه الدولةالفاطمية فى الإستيلاء على مصر بقيادة جوهر الصقلى ، ودخلها عام ٣٥٨ ﻫ وأنشأ مدينة القاهرة ، وبنى بها الجامع الأزهر ، وذلك لتدريس المذهب الشيعى الفاطمى ، وتكوين الدعاة له ، لكن هذا كان فى عهد الخليفة الفاطمى الرابع ، وهو المعز لدين الله ، وامتد نفوذها من المغرب العربى حتى الشام والجزيرة العربية ، ومناطق أخرى مثل صقلية وجنوب إيطاليا(١) .

وظل أمرهم فى علو حتى دالت دولتهم فى مصر على يد صلاح الدين الأيوبى ، فتفرقت فلولهم فى البلدان وبخاصة اليمن تحت إمرة ملكة كان لقبها الرسمى : سيدة ملوك اليمن الحرة،الملكة الصليحية أروى بنت أحمد، وبعدها تولى القيادة سلسلة من الدعاة الفاطميين ، وبقيت اليمن مركزا لهم طيلة أربعة قرون ، ثم تفرقت بهم السبل واتجه أغلبهم إلى الهند ،وقد انبثقت من الدولة الفاطمية عدة فرق أذكر منها :

= الإسماعيلية ، ثم ما لبثوا أن أغتصبوا الأمر لأنفسهم ،وهم ينتسبون أصلا إلى زنادقة المجوس الذين حاولوا تقويض دعائم الإسلام عن طريق التأويل تارة والقول بالباطن تارة أخرى ، أو عن طريق محاولة إحياء العقائد المجوسية . . أنظر : إسلام بلا مذاهب ص ٢٣١ ، ٢٣٢ وسيأتى المزيد عن نسبهم .

وعلى القول الأول نرى أن اليهود وراء غرس بذور الشقاق والإنقسام بين الجماعة الإسلامية ، وعلى القول الآخر نرى أن المجوس هم وراءه ، وعلى القولين ندرك أن السهام التى توجه ضد المسلمين تأتى من عدة جبهات لغرض تمزيق وحدة المسلمين حقدا عليهم وعلى الإسلام .

(١) أنظر : إسلام بلا مذاهب ص ٢٣٤

١ — السليمانية : نسبة للداعى سليمان بن حسن ومركزهم الآن باليمن[١] .

٢ — الأغاخانية : نسبة إلى رجل اسمه حسن على شاه ، وهذا اللقب أطلقه عليهم الإنجليز[٢] ، وإمامهم الحالى رجل اسمه كريم ، وهو مازال يطلب العلم فى أمريكا ، ويقطنون فى بلاد كثيرة الآن منها : نيروبى ، ودار السلام ، وزنجبار ، ومدغشقر ، والكنغو البلجيكى ، والهند ، وباكستان ، وسوريا ، ومركز قيادتهم الآن كراتشى بالباكستان[٣] ، وقد وصف الأستاذ / أحمد أمين أحد أئمتهم وهو : محمد شاه بن أغا على المعروف بأغاخان فقال (هو فى منتهى الغنى ، ومعروف فى الأوساط الإرستقراطية الأوربية ، وله خيل تشترك فى أشهر الحفلات ، ويعيش عيشة بذخ وترف ، ومع هذا يجبى إليه الإسماعيلية عشر أموالهم وينظرون إليه نظرة تقديس)[٤] وسنرى بعد قليل — أيضا — من أين تجلب هذه الأموال الطائلة التى تجعلهم يعيشون هذه الحياة الباذخة والمرفهة ..

٣ — النزارية : وقد أسسها الحسن بن الصباح ، ومعروفة فى التاريخ بالحشاشين ، وفلولهم الآن فى : سلمية والخوابى والقدموس ومصياف وبانياس والكهف من بلاد الشام[٥] .

٤ — البكتاشية : ولم أقع على مؤسسها وأماكن تواجدها[٦] .

---

(١) أنظر : الشيعة د / عبد المنعم النمر ص ١٤٠

(٢) لاحظ تبنى الإستعمار الصليبى لمثل هذه الفرق المناوئة للإسلام .

(٣) أنظر : إسلام بلا مذاهب د / الشكعة ٢٤٠ ، ٢٤٢

(٤) ضحى الإسلام ٣/٢٢٥ .

(٥) أنظر : الشيعة د / النمر ص ١٣٩ (هامش) .

(٦) مجلة الأزهر ص ١٠٢٧ ، رجب ١٤١٣ هـ .

٥ — الداودية : نسبة إلى قطب شاه داود ، ومركزهم الآن بالهند ، وهم البهرة الذين نتحدث عنهم .

ونقرر بكل يقين أن فرقة البهرة تعتبر نفسها امتداد الدولة الفاطمية التى قصم ظهرها صلاح الدين . وتعمل جاهدة لإستعادة مجدها الضائع بشتى الأساليب مرة أخرى . وتقوم هذه الفرقة على نفس المنهاج والعقائد التى تقوم عليها الدولة الفاطمية .. ومركزهم الآن فى بومباى بالهند، ويقيمون المساجد هناك لنشر أفكار حول مذهبهم .

وداعيهم الآن هو السلطان برهان الدين[1] ، وقد وصف محمد حسن الأعظمى الهندى أحد دعاتهم وهو طاهر سيف الدين فقال (..له مؤلفات سنوية ودروس يلقيها أسبوعياً ، ويستمع إليها العلماء والطلبة من هذه الفرقة ، وله قصر فخم على الجبل عند شاطىء البحر فى بومباى وآخر فى مدينة سورت وتحيط به حاشية كبيرة ، وخدم وحشم ، وهو الذى يقوم بتعيين المدرسين فى الجامعة والمدارس القومية ، وإرسال الأئمة والعمال إلى أنحاء البلاد المختلفة ، وكل ما يتعلق بالأمور الدينية الخاصة بهم ... وأتباع شيخ البوهرة — هكذا مكتوبة ما يرجح ضم باء البهرة — يعظمونه كل التعظيم ، ويحيونه بإحناء الرءوس ، ويقبلون يديه ، ويكادون يسجدون أمامه : ويعتقدون أنه الداعى المطلق من إمام زمانهم المستتر ، وأنه كالمعصوم لا يخطىء ، ولا يضل أبداً وطاعته واجبة)[2] . وعدد البهرة الآن لا يعرف بالضبط ، وإن كانت بعض الكتب تذكر إحصائية قديمة وتقدر عددهم فى الهند وحدها بأكثر من مائة ألف .. إلا أن هناك أعداداً أخرى تعيش فى بعض الدول الأوربية ، وكذلك فى اليمن ، وفى كثير من الدول

---

(١) يلاحظ تغيير الألقاب وفقاً للظروف والأحوال السائدة فى كل عصر .

(٢) فى الهند وقصة الباكستان ١٠١/١ (بتصرف).

الأفريقية ، وفى بعض الدول الأمريكية .. ونلاحظ فى هذا الانتشار والتوزيع بين أفراد هذه الفرقة ملحوظتين أساسيتين :

الملحوظة الأولى :

أن هذا التفرق وهذا الانتشار مقصود عندهم فى جميع قارات الأرض وذلك يخدم أغراضهم من حيث نشر أفكارهم وانتشار مذاهبهم وضم أكبر عدد ممكن إليهم ، وكذلك إذا ضيق عليهم فى بلد من البلدان كان لهم البديل فى بلدان أخرى .

الملحوظة الثانية :

إن أفكار ومذاهب هذه الفرقة — وغيرها من المذاهب والفرق المنتسبة إلى الإسلام — لها خطرها الشنيع على الدعوة الإسلامية الصحيحة ، فهم — كما سنرى — لهم أفكارا مضادة للإسلام . بل هم من خصوم الإسلام حيث يشوهون الإسلام .. ويكيدون للمسلمين وعلمائهم ويضعون العراقيل أمامهم ، ويبذرون بذور الشك فى نفوس من يرغب الدخول فى الإسلام من أهل هذه البلدان ، وقد يساعدهم على هذا بعض الحكومات ... فهم عقبة كؤد فى طريق الدعوة الإسلامية وانتشارها ..

البهرة فى مصر :

ومن أماكن تواجدهم الآن مصر . وكان الفاطميون قد خرجوا من مصر فى القرن الخامس الهجرى بعد أن حكموها من القرن الثالث الهجرى ، وكانت نهاية وجودهم على يدى الدولة الأيوبية — كما سبق — ولكن مع خروجهم منذ مئات السنين من مصر إلا أنهم ظل يراودهم حلم العودة إليها ، فلهم ذكريات قديمة فى مصر ، وكانت القاهرة عاصمة دولتهم المهزومة ، فلها عندهم شجون وأحلام . وقد فعلوا الكثير من أجل عودة مجموعة منهم

ووضع أقدامهم على أرض مصر . . ولعلهم يحلمون بعودة مجدهم القديم الضائع — هكذا يحلمون ويفكرون — وقد صرح لهم فعلا — بالعودة إلى مصر وذلك فى السبعينات من هذا القرن الميلادى، وكانوا قد أعلنوا تأييدهم لمبادرة السلام بين مصر وإسرائيل عند عقدها . . وعندما سمح لهم بالعودة إلى مصر انتشروا فى مناطق متعددة من مدينة القاهرة، فلهم وجود دائم فى حى الحسين وحى الحسينية ، وفى شارع بورسعيد، وشارع المعز لدين الله ، وحى سوق الليمون ، وكلها أماكن قريبة من الأزهر والمشهد الحسينى، ولتأكيد وجودهم فى هذه المنطقة — بالذات — فقد اشتروا محلات أو تملكوها ، وكتبوا على بعضها — بجانب نوعية نشاطه التجارى — لفظة الفاطمية ، إلا أنهم لم يكتفوا بوجودهم فى القاهرة بل ذهبوا إلى بعض المدن الجديدة مثل مدينتى العاشر من رمضان والسادس من أكتوبر ، وافتتحوا مصانع فيها ، بل ذهبوا إلى جنوب البلاد مثل مدينتى الأقصر وأسوان . وهذا التوزيع والانتشار مقصود — كما سبق — وسلطان البهرة فى مصر اتخذ لنفسه مكاناً فى حى الدقى وله فيها قصر — فيلا — فخم .

ولهم فى مصر بالذات — كما لهم فى غيرها — تصرفات مريبة . . وفى عهد الأستاذ زكريا البرى عندما كان وزيراً للأوقاف ، وكان فى زيارة إلى دولة كينيا، وفى عاصمتها نيروبى، فوجىء الرجل بملصقات فى الشوارع وفى أماكن بارزة بها ، تدعو أبناء فرقة البهرة للرحيل فوراً إلى مصر وذلك بحجة الاحتفاء بمقدم القرن الخامس عشر الهجرى ، وأصاب الرجل الواعى الخوف والفزع عندما علم أن الدعوة نفسها وجهت للبهرة فى كل شرق أفريقيا ، وقدم الرجل الغيور — الوزير — تقريراً للمسئولين ، وأوصى فيه بعدم استقبالهم ... وعند قدومهم إلى مصر كان احتفالهم بعودة الفاطميين إلى القاهرة.. وليس الاحتفال بمقدم القرن الخامس عشر الهجرى. وعند مقدمهم كانت لهم تصرفات مريبة — فكما سبق امتلكوا المحلات

وأسموا الشركات — وعقيدتهم هي هي كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى بعد قليل ، فبينما يحتفل الكثير من المصريين بذكرى الحسين، فإن سلطان البهرة وفرقته سمح لهم لفتح مقصورة الحسين — هم الذين قاموا بتجهيزها — ويدخل السلطان ومن معه من بطانته ينظفون المقصورة في تقليد أصبح متبعا كل عام ، وما أن يخرجوا حتى تهجم عليهم مئات الأيدي ، تحاول اللحاق بالأتربة التي تكون غطت ثيابهم ، فيلعقونها ، ويخطفون منهم أدوات التنظيف تبركا بها ، وتعتبر البهرة أن مسجد الحاكم بأمر الله — الجامع الأنور — بجوار بوابة النصر هو بيت الله الحرام ، ويدعون فرقة الدروز[1] ليشاركوهم هذا الصنيع، وقد قاموا بدفع مبالغ طائلة

---

(١) تنسب هذه الفرقة إلى أبي محمد الدرزي، وكان من أهل موالاة الحاكم أبي علي المنصور بن العزيز خليفة مصر، وينبثق مذهبهم من مذهب فرقة الإسماعيلية ، ويتفقان فيما بينهما في كثير من العقائد الأساسية ..

ومن معتقداتهم: ألوهية الحاكم بأمر الله، وأن شريعتهم ناسخة لكل الشرائع ، ويعتقدون بتناسخ الأرواح، وسقوط التكاليف وكل الفرائض عنهم ، والبراءة من الأنبياء السابقين ومن كل الأديان ..

وأكبر جريمة لهم وأبشعها، وأفظع بهتان أتوا به هو تأليفهم مصحفا وأطلقوا عليه : المصحف المنفرد بذاته ، وهو من وضع كمال جنبلاط ، وهو خليط من بعض كلمات القرآن الكريم وهذيانهم، وقد نقله الدكتور عبد المنعم النمر في آخر كتابه : الشيعة والدروز المهدي .. ويقصدون به مضاهاة القرآن الكريم .. وهم ينقسمون إلى طبقتين :

١ — العقال أو الأجاويد : أي الذين يعرفون الأمور الدينية ، وهم القدوة لغيرهم من أتباع فرقتهم ، وهؤلاء درجات بحسب المعرفة والإدراك .

=

فى تجديد مقصورة السيدة زينب والحسين ، كما قاموا بترميم وتجديد مسجد الحاكم بأمر الله .

ومن الأمور العجيبة أنه عند مقدمهم إلى القاهرة ، جاء بهرى معارض لإتجاه الفرقة وسلوكها للقاهرة وهو أصغر على بانجير .. وقد كشف فى تقرير طويل عن مسلك السلطان ومذهبه وجاء فيه : أن سلطان البهرة يقيم فى قصر (سيتى محل) فى بمباى ، ويفرض على أبناء الفرقة ضرائب مريبة وغريبة ، حتى يجمع أموالا لترميم آثارهم فى مصر — دولتهم سابقا ولاحقا كما يحلمون — ويدفع له البهرى رسما مقابل السجود أمامه ، ورسما آخر لمن يقبل يديه ورجليه ، كما يجمع ضرائب على الحمل ، والجنين إذا مات ، وعلى جثث الموتى من أبناء فرقته .. ويتسع الأمر ليشمل بيع تذاكر مدفوعة الثمن لصلوات الأعياد الخاصة بهم ، ويختلف سعرها حسب الصف الذى يقف فيه المصلى ، فألف روبية — عملة باكستانية —

---

٢ — الجهال : وهؤلاء لايحل لهم أن يطالعوا المصحف ، ولا كتب الحكمة الخاصة بفرقتهم ، وليس لهم إلا الشروح التى يضعها لهم العقال..

ويوجد الدروز فى سورية فى دمشق ، والجبل الأعلى فى جبهة حلب وبعض المدن الأخرى ، كما يوجد كثير منهم فى لبنان وحوران ووادى التيم الأعلى والأسفل ومرجعيون ،وكما توجد أعداد منهم فى اسرائيل..

ولعلنا الآن ندرك لماذا تدعوهم فرقة البهرة لمشاركتهم فى أفعالهم..

ومن المعروف تاريخيا أن الدروز من الشيعة الإسماعيلية الفاطمية..

انظر : الشيعة .. للدكتور النمر ، توضيح العقيدة للأستاذ حسين محمد المصرى ص١٩٥ ط الحلبى ، غلاة الشيعة د/ فتحى الزغبى ص٢١٠ ، دائرة المعارف لبطرس البستانى ٧/٦٧١ ، دار المعرفة بيروت ، طائفة الدروز للدكتور / محمد كامل حسين ، دار المعارف .

للأول ، وثمان مائة روبية للصف الثانى ، وهكذا كلما بعد عن الإمام قل السعر وكلما قرب منه زاد السعر .

أما إذا مات البهرى فإنه يستأجر بأمواله من السلطان شقة فاخرة فى الجنة ثمنها خمسون ألف روبية للدرجة الأولى .. والأقل للأقل وهكذا .. بالإضافة إلى ثمن آخر يدفعه أهل الميت ليحصل على صك غفران ويطلق عليه — روكوستين — يعلق على صدر الميت ليدفن معه[١] .

فهل نفزع من هذه الفرقة وأفكارها ووجودها بيننا كما فزع الدكتور زكريا البرى .

أساليبهم :

وقد اتخذ أصحاب هذه الفرقة — وغيرها من الفرق التى انشقت من الباطنية — عدة حيل فى الدعوة إلى مذهبهم ومعتقداتهم — التى سيأتى ذكرها بعد هذا إن شاء الله — وأيضا محاولة زعزعة عقيدة المدعو التى يؤمن بها ، وقد ذكر العلماء هذه الأساليب المروعة وهى درجات مرتبة ، ولكل مرتبة إسم ، وهى بإيجاز :

١ — الزرق[٢] والتفرس : قالوا : ينبغى أن يكون الداعى فطنا ذكيا صحيح الحدس ، صادق الفراسة .. وليكن قادرا على ثلاثة أمور :

الأول : وهو أهمها : أن يميز بين من يجوز أن يطمع فى استدراجه ، ويوثق بلين عريكته ، لقبول ما يلقى إليه خلاف معتقده .. وليلتمس

---

(١) انظر : مجلة روز اليوسف العدد ٣٣٠٦ بتاريخ ١٣ ربيع الآخر ١٤١٢ هـ/٢١/١٠/١٩٩١م ص ٣٤ ، تحقيق : عبد الله كمال ويلاحظ أن الكثير من هذه الطقوس موجودة فى ملل ونحل كثيرة وبخاصة النصرانية وهذا يدل على تأثرهم بها .

(٢) يقال رجل زرّاق أى : خداع انظر : لسان العرب لابن منظور ١٨٢٨/٣ دار المعارف

من فيه انفعال وتأثر بما يلقى إليه من الكلام.. ويبتعد بدعوته عن دعوة الأذكياء من الفضلاء، وذوى البصائر ..

الأمر الثانى من الزرق والتفرس: أن يكون الداعى إلى دعوتهم مشتعل الحدس، ذكى الخاطر فى تعبير الظواهر وردها إلى البواطن، إما اشتقاقا من لفظها.. أو تشبيها بما يناسبها . فإذا لم يقبل المستجيب منه تكذيب القرآن والسنة فينبغى أن يستخرج من قلبه معناه الذى فهمه .

الأمر الثالث: ألا يدعو كل أحد إلى مسلك واحد، بل يبحث عن معتقده، وما إليه ميله فى طبعه ومذهبه .

٢ — التأنيس: ويقصدون به الأنس وهو أنس المدعو إلى الداعى وما يقوله، وبث الأمن والطمأنية فى نفس المدعو، وأشباع ميله وإعطائه كل ما يميل إليه .. كل ذلك ليستحكم الأنس به، ويميل القلب إلى الإصغاء إلى كلامه ..

٣ — التشكيك: ومعنا أن الداعى — لمذهب الباطنية — ينبغى له بعد التأنيس أن يجتهد فى تغيير إعتقاد المستجيب، بأن يحاول زلزلة عقيدته .. وسبيله فى هذا أن يبتدئه بالسؤال عن الحكمة فى مقرارت الشرائع، وغوامض المسائل، وعن المتشابه من آيات القرآن وكل ما ينقدح فيه معنى معقول، فيقول مثلا: ما بال الحائض تقضى الصوم دون الصلاة، ومابال الإغتسال يجب من المنى الطاهر ولايجب من البول النجس .. ويشككه فى أخبار القرآن والأخبار الواردة فى السنة فيقول مثلا: ما بال أبواب الجنة ثمانية، وأبواب النار سبعة، ولم كانت السموات سبعا ولم تكن ستا أو ثمانى الخ .

وهكذا لا يزال يورد هذا الجنس حتى يشككه، وينقدح فى ذهنه أن تحت هذه الأشياء أسرار وهذه الأسرار لا يدركها إلا هم .

٤ — التعليق : وهو أن يطوى عنه جوانب هذه الشكوك إذا هو استكشفه عنها ، بل يتركه معلقاً ... فإن رآه أعرض عنه واستهان به قطع الطمع عنه ، وإن رآه متعطشاً إليه وعده .. وأخذ العهد عليه أن يكتم هذه الأسرار ، وتلى عليه بعض الآيات فى حفظ العهد ، والوفاء به ، ثم يتوعده إن هو كشف عن هذه الأسرار لأحد ، وهو ما اطلق عليه الإمام الغزالى بالربط ، وهو أن يربط لسانه بأيمان مغلظة وعهود ، مؤكدة ، ولا يجسر بعدها على المخالفة ، وقد ذكر الغزالى نص العهد ..

٥ — التدليس : وهذه الحيلة يلجأ إليهـا الباطنى بعد الإيمان المغلظة ، وتأكيد العهد . . لا يسمح ببث الأسرار إليه دفعة واحدة ، ولكن يتدرج فيها ، وفى هذه المرحلة من الدعوة إلى معتقداتهم يراعى : أن يقتصر على إظهار ضعف العقول ، وعـدم قدرتها على إدرك الأسرار ،

ومن هنا وجب الإنقياد للأئمة فهم وحدهم الذين أودعهم الله سره المكنون ، ودينه المخزون ، وكشف لهم بواطن الأمور ، كما يراعى بعد ذلك أن يحتال فى إبطال ظاهر القرآن ، ثم يظهر نفسه أنه غير مخالف للأمة وكل علمائها ، وهو فى كل هذا يتستر ويتجمل بحب آل البيت ، فإن مال إليه المدعو ذكر له من أفاضل الناس من فيهم ذكاء وفطنه أنهم يعتقدون هذه الآراء ، ويؤمنون بهذا المذهب لكنه يكون منتبها جيداً أن هؤلاء الأذكياء يقطنون فى بلدان بعيدة جداً ومتفرقة حتى لا يتيسر للمدعو الرجوع إليهم ، والتأكد من صحة اعتقادهم ، وهذه الحيلة تفسر — كذلك — مدى انتشارهم فى بقاع كثيرة من الأرض ، وبعدهم عن مقر إمامهم ووطنه حتى يمعنوا فى التستر .. وإلا افتضح أمره بما يتواتر من أخباره وأحواله ، ثم بعد هذا يمنيه بظهور شوكة هذه الفرقة وانتشار أمرها وعلو مكانتها ، وظفرها على أعدائها ، وامتلاكها البلدان والعباد ، وكل فاطمى سينال مراده من سعادة فى دنياه وأخراه .

كما يراعى الداعى إلى الباطنية فى هـــذه الحيلة أو هذه المرحلة ألا يطيل إقامته ببلد واحدة ، فإنه ربما اشتهر أمره وافتضح . فيصيبه أذى وربما طرد وسفك دمه. واحترازا من هذا فينبغى أن يحتاط، فيلبس على الناس أمره، ويعرف فى كل إقليم باسم آخر كل هذا إمعانا فى التدليس ، ليتم لهم مرادهم .

٦ — التأسيس: وهو تثبيت المعلومات والأفكار التى أدلى بها الداعى للمدعو حتى تستقر فى ذهنه ، ويقبل عليها ويؤمن بها..

٧ — الخلع والسلخ: ومعنى حيلة الخلع : إقصاء المدعوين عن حظيرة المذهب الذى يؤمن به أهل السنة والجماعة، إن لم يكن حظيرة الإسلام نفسه، وذلك بإسقاط التكاليف الشرعية عنهم، وقال : أبو حامد الغزالى: الخلع هو ترك حدود الشرع وتكاليفه . .

وأما السلخ : فيختص بالإعتقاد الذى هو خلع الدين ، بمعنى إسقاط الإعتقادات جميعاً التى يعتقدها المدعويين .. وتسمى هذه المرتبة عندهم البلاغ الأكبر[1] .

فهذه بعض أساليبهم فى استدراج الناس لمعتقداتهم واستغوائهم . إلا أن الفزع الأكبر والذى يجب أن ننتبه إليه فى هذه الفرقة هو معتقداتهم وتأويلاتهم وتشريعاتهم وسلوكهم المريب ، وفى الصفحات التالية أتناول بعضها :

---

(١) انظر فضائح الباطنية للإمام الغزالى ص ٢١ ومابعدها ، والفرق بين الفرق للبغدادى ص١٧٩ وما بعدها ، غلاة الشيعة لمرزوغى ص٢٣٢

عقائدهم :

وضع العلماء عدة أسس لعقائد الإسماعيلية الفاطمية الباطنية .. وما تشعب عنها من فرق.. وأود أن أشير هنا أن هذه الأسس قد تشترك فيها فرق أخرى ، وقد تشترك في بعضها أو أكثرها ، وقد تنفرد بعضها في أسس أخرى .

أولا : عقيدتهم في الله تعالى:

يذكر المؤرخون للفرق أن الإسماعيلية الباطنية أو الفاطمية (يقولون بالوحدانية ، ويشهدون أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله)[1] .

وهذا القدر من الإيمان كان يكفي بدخولهم في الجماعة الإسلامية ، لكنهم قالوا بهذا التمويه ، وقبلوهم كمسلمين — شأنهم شأن كل مخادع كذاب — وهذا أحد أساليبهم — ودليل ذلك أنهم عندما يتحدثون عن صفات الله تعالى ينكرونها تماماً ، وللتضليل أنهم يقولون بأن صفات الله فوق متناول العقل،ومن هنا طاشت وانحرفت عقيدتهم في الله تعالى، فمثلا يقولون عن الله(لا نقول موجود، ولا نقول غير موجود ، ولا عالم ولا جاهل ، ولا قادر ولا عاجز،وعلى ذلك فلا يقولون بالإثبات المطلق ولا بالنفي المطلق)[2] .

ولهم فلسفة عجيبة وغريبة في إثبات قولتهم هذه ، فيقولون (إنه لم يخلق العالم خلقاً مباشراً ، بل أبدع العقل الكلي بعمل من أعمال الإرادة، والعقل الكلي - عندهم - محل جميع الصفات الإلهية ، وفي نظرهم الإله ممثلا في مظاهره الخارجية ، ويعللون هذه الفلسفة فيقولون :

---

(١) إسلام بلا مذاهب د/مصطفى الشكعة ص ٢٤٢.

(٢) الملل والنحل للشهرستاني ١٧٢/١ ، الحلبي ط ١٣٩٦ هـ .

لما كانت الصلاة لا يمكن أن تؤدى لكائن لا يدرك فهى تؤدى لمظهره الخارجى ، وهو العقل الذى أصبح تبعاً لذلك الإله الحقيق ... ولما كان الإنسان غير قادر على معرفة ذات الله ، وإنما يعرف العقل وحده ، فإن الاسماعيلية يسمون العقل الحجاب أو المحل أو الصلة ، ولبلوغ السعادة عندهم ينبغى على الإنسان تحصيل العلم ، ولا يمكن تحصيل السعادة التى هى العلم إلا بحلول العقل الكلى فى الإنسان وهو النبى وفى الأئمة الذين يخلفونه والعقل الحال يسمى ناطقا ، والنفس الحالة تسمى أساساً ، والناطق هو النبى الذى يبلغ الكلام المنزل ، والأساس هو الإمام الذى يفسره معتمداً على التأويل ، ولذلك يقولون إن محمداً هو الناطق ، وعلياً هو الأساس)[1] .

وهكذا عمدت هذه الفرقة إلى التعسف والغموض ، وإلى سلوك سبل وعرة فى معرفتهم بأساس العقيدة الإسلامية السهلة السمحة الواضحة — مثلها فى ذلك مثل ملل ونحل كثيرة — وانتهت هذه الفرقة بفلسفتها الموعجة والمعقدة إلى أن جميع الأسماء والصفات التى خلعت على العقل الكلى هى أيضاً أسماء وصفات على الإمام ، ومن ثم خلعوا على الإمام صفات الرحمن سبحانه وتعالى ، حتى قال شاعرهم وهو ابن هانىء الشيعى يمدح أحد الخلفاء الفاطميين وهو المعز :

ما شئت لا ما شاءت الأقدار   فاحكم فأنت الواحد القهار

وقد ذكر الأستاذ أحمد أمين الكثير من هذا الشعر[2] .

---

(١) إسلام بلا مذاهب ص ٢٤٣ ، ٤٤ ، وأنظر : الشيعة ، د / النمر ص ٢٣١ ، وغلاة الشيعة د / الزغبى ص ١٩٤

(٢) ضحى الإسلام ٣/٢٢٣

أساس هذا الاعتقاد :

إن هذه الفرقة أتت بهذا الإعتقاد المريب من عدة فلسفات قديمة ، ومن ملل ونحل متعددة ، أدمجتها فى صلب عقيدتها بقصد محاولة تشكيك الناس حول عقيدة المسلمين ، وتشتت أفكارهم ، وإذا دخل الشك حول هذا الأساس ضاعت المعالم الأساسية لهذا الدين .

هكذا يقصدون — يقول الدكتور / محمد كامل حسين (والذى ألا حظه على عقائد الفاطميين أنها مزيج من مجموعة المذاهب والديانات القديمة التى عرفت وانتشرت فى الأقطار الإسلامية منذ زمن بعيد ، بتأثير المسلمين بغيرهم من الشعوب المختلفة ، واستطاع الفاطميون أن يخضعوا هذه المذاهب والآراء القديمة للآراء الإسلامية ، ويصبغونها بالصبغة الإسلامية)[1] .

وقد ذكر الإمام الغزالى أنهم أقتبسوا هذه العقيدة المبهمة والمعقدة من السفسطائيين وهم فرقة من فلاسفة اليونان القديمة[2] .

إلا أن الإقتباس الأكثر ، والتركيز الأكبر لهم ، كان من المجوسية ، نظر المؤسس هذه الفرقة ، بغرض إعادة الأمجاد القديمة للفرس ، والتى قضى عليها الإسلام لذا نرى أغلبهم موجود فى هذه الأماكن[3] .

يقول البغدادى : (وذكر أصحاب التواريخ أن الذين وضعوا أساس

---

(١) أدب مصر الفاطمية ص ١٧ نقلا من الشيعة د / النمر ص ٢٣٣

(٢) فضائح الباطنية ، حققه : نادى فرج درويش ص ٩٠ ، توزيع المكتب الثقافى .

(٣) انظر : ضحى الإسلام لأحمد أمين ٢١٣/٣

دين الباطنية كانوا من أولاد المجوس ، وكانوا مائلين إلى دين أسلافهم ، ولم يجرؤا على إظهاره خوفاً من سيوف المسلمين ، فوضع الأغمار منهم أسساً من قبلها منهم صار فى الباطن إلى تفضيل أديان المجوس ، وتأولوا آيات القرآن وسنن النبى ﷺ على موافقة أسسهم)[1] .

وقد استدل البغدادى على توجههم هذا بعدد كثير من الأدلة ، ثم ساق بعض أساليبهم نحو تحقيق هدفهم ، منها :

أنهم أرادوا إدخال عبادة النار فى مساجد المسلمين ، واحتالوا لذلك فقالوا للمسلمين: ينبغى أن تجمر المساجد كلها ، وأن تكون فى كل مسجد مجمرة يوضع عليها الند والعود فى كل حال ، وكانت البرامكة قد زينوا للرشيد أن يتخذها فى جوف الكعبة ، وأن تصير الكعبة بيت نار، فكان ذلك أحد أسباب قبض الرشيد عليهم)[2] .

ومنها : ميلهم إلى المجوس ودينهم ، وتمنيهم زوال ملك العرب والمسلمين وظهور ملك الفرس ومعتقداتهم .

يقول البغدادى : (ويؤكد .. ميل الباطنية إلى دين المجوس أنا لا نجد على ظهر الأرض مجوسيا إلا وهو مواد لهم ، منتظر لظهورهم على الديار يظنون أن الملك يعود إليهم)[3] .

وقد ذكر البغدادى كثيراً من تنبؤات دعاة الباطنية ، من زوال ملك المسلمين وعودة ملك المجوس ، وقد خاب ظنهم فى كل التواريخ التى ذكروها[4] ، بل اتسع بعدها نطاق الإسلام فى أرض الله تعالى ، ومازال

---

(١) الفرق بين الفرق ص ١٧١

(٣،٢) الفرق بين الفرق ص ١٧٢

(٤) انظر : المرجع السابق ص ١٧٢

يعلو لواءه ولله الحمد .. ولا يسع المقام للرد عليهم فى هذا هذا الاعتقاد الواهى والتضليل الواضح وعقيدة التوحيد سهلة وواضحة عند أهل السنة والجماعة ، ولا تحتاج إلى هذه الإلتواءات والإنحناءات المحيرة والمضللة .. فالله جل ذكره واحد أحد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ، وهو سبحانه وتعالى الأول والآخر والظاهر والباطن ، ولا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو السميع العليم .. وهو جل شأنه الخالق الرازق المحى المميت المتصف بكل كمال والمنزه عن كل نقص ومالك يوم الدين وما فيه من حساب وجنة ونار ، وهو سبحانه هو الذى أرسل رسله وأنبياءه بالهدى ودين الحق وأيدهم بالمعجزات وكان خاتمهم جميعا سيدنا محمد ﷺ ومعجزته الخالدة القرآن الكريم .. وكل من يؤمن بالقرآن الكريم وما فيه يدخل فى الإسلام ، ويكون من الجماعة المسلمة الناجية بإذن الله تعالى .. إذن فلا حاجة البته إلى هذه السبل الوعرة المظلمة الضالة التى تقول بها هذه الفرقة وغيرها من الفرق لمعرفة عقيدة التوحيد:

ثانياً : عقيدتهم فى الإمام :

وكما تعسفت وضلت الطريق فى عقيدة التوحيد ، كذلك تعسفت وضلت وغالت كل الغلو فى عقيدتهم فى الأئمة .. فالإمامة عندهم قائمة على الوصاية ، والنص على الإمام يكون من الإمام الذى سبقه بحيث تتسلسل الإمامة فى الأعقاب ، وقد تقف عند عدد معين مثل عدد سبعة مثلا ، أو إثنا عشر .. وقد تتخلى الفرق عن تعيين الإمام فى زمن ما وفق الظروف والأحوال ..

وقد يظهر هذا الإمام وقد يختفى ويستتر وفق الظروف والأزمات التى يمرون بها من قوة وضعف .

وهذا الاعتقاد — عندهم — أحد أركان الدين ، ولا يتم الدين

إلا به ، حتى جعلوه ركناً سادساً من أركان الإسلام ، والذى لا يؤمن بهذا الركن .

— وهو الإمام الذى تعينه كل فرقة وصفاته — يخرج من ربقة الدين ، كذلك يخرج من الدين كل من آمن بولاية أبى بكر وعمر وعثمان وغيرهم من الولاة ممن ليسوا من نسل الإمام على ، ونص عليه بالوصاية من الإمام السابق .. والذى يهمنا هنا بيان عقيدتهم حول صفات هذا الإمام .

صفات الإمام :

— الإمام عندهم يوحى إليه ، وإن اختلفت طريقة الوحى عن النبى ...

— من لا إمام له أصبح ضالا ، ومن مات على هذه الحالة مات ميتة جاهلية...

— الأئمة هم نور الله الذى قال عنه « فآمنوا بالله ورسوله والنور الذى أنزلنا »[1] وليس المراد بالنور هنا القرآن الكريم كما يقول أهل السنة والجماعة [2] .

الإمام مطهر من الذنوب ،، مبرأ من العيوب .. معصوم من الخطأ .. والمخصوص بالعلم ..

— الأئمة أركان الأرض ، وعدم وجودهم تميد وتضطرب بأهلها وأعمال الناس — كل الناس — ستعرض على النبى صلى الله عليه وسلم وكذا

(١) سورة التغابن آية ٨

(٢) سيأتى نماذج لتأويلاتهم بعد قليل

الأئمة يوم القيامة :

— لم يجمع القرآن وعلمه إلا الأئمة .. وذلك عن طريق التوارث من علم الإمام علي ..

— إنهم — أي الأئمة — يعلمون ما كان .. وما يكون .. ولا يخفى عليهم شيء ، فالله لم يعلم نبيه علماً إلا أمره أن يعلمه علياً .. ثم انتهى هذا العلم إلى الأئمة من بعده ..

— كان مع رسول الله روح أعظم من جبريل وميكائيل ، وهذه الروح مع الأئمة ..

— الملائكة تدخل بيوت الأئمة .. وتطأ بسطهم .. وتأتيهم بالأخبار ..

— الأرض كلها للإمام .. وأهل البيت هم الذين أورثهم الله الأرض ، كما يقول القرآن «أن الأرض يرثها عبادي الصالحون»[1] والعباد الصالحون هم الأئمة[2] . إلى غير ذلك من الصفات .

وهي صفات مزعجة ومرعبة ، وخارجة عن نطاق شرع الله الحنيف ، وأيضاً عن نطاق أصحاب النهى .. وهذه مغالاة لا تقبل بحال ، فقد أضفوا على الأئمة الكثير من صفات الرسل والأنبياء وهذه مغالاة مردودة ، بل قال بعضهم بألوهيته . وهذه الصفات للأئمة عندهم من الأسباب التي وسعت شقة الإختلاف بينهم وبين أهل السنة والجماعة ..

---

(١) سورة الأنبياء آية ١٠٥

(٢) انظر : ضحى الإسلام لأحمد أمين ٢١٢/٣ وما بعدها ، والشيعة د/ النمر ص ٥٦ ، العقائد الشيعية ، لناصر الدين شاه ص ٥٤ ط أولى ١٤٠٧هـ

فالخليفة عند أهل السنة والجماعة إنسان ككل الناس ولد كما يولدون وتعلم وجهل كما يتعلم الناس وكما يجهلون ، وليس له من مزية إلا أن كفايته وأخلاقه وعدالته وشجاعته وورعه جعلت الناس يختارونه أن يتولى شئونهم وهو — أيضاً — كما يقول الأستاذ أحمد أمين (منفذ للقانون الإسلامي ، وقد ينحرف عن التنفيذ فلا طاعة له على الناس، إذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، وليس له أن يشرع إلا في حدود القوانين الإسلامية وإلا فتشريعه باطل ، وقد يجور وقد يعدل ... والمؤرخون أحرار في تشريحه كتشريح كل الناس . ويزنونه بنفس الموازين التي توزن بها أعمال الناس ، وإن انحرف واستطاعوا عزله عزلوه ..)[1] . وهو واحد منهم تجرى عليه ما يجرى عليهم . . ولا دخل للقرابة والنسب في هذا ، وقد كان أبو بكر يخطىء وكذلك عمر وعثمان وعلي رضوان الله عليهم جميعاً ، ولو كان لعلي كل هذه الصفات التي لصقها به الشيعة لتغير وجه التاريخ . .

ويقول أحمد أمين عن هذه الصفات (الحق أن هذه أوهام جرت على الناس البلاء ، وجعلتهم يذلون ويخضعون خضوعاً مطلقاً للظلم والفساد ، ولا يرضون به ، ولا يرفعون صوتهم للنقد ، بل ولا يقومون بأضعف الإيمان وهو الاستنكار بالقلب . وهذا النظر الشيعي إلى الإمام يلقى على تاريخ الفاطميين وعلى كل الدول الشيعية ضوءاً قوياً ، فنعرف السر لم كان يخضع الناس للخلفاء ، وكيف ينظرون إليهم نظر تقديس ، وكيف كانت تقابل أعمالهم مهما جارت وظلمت بالقبول والاستحسان ..)[2] .

وقال (إن شئت نظراً معتدلا هادئاً فوازن بين قوم يرون أن إمامهم

---

(١) ضحى الإسلام ٣/٢٢١

(٢) المرجع السابق ٣/٢٢٢

أحد الناس يجرى عليه ما يجرى عليهم ، ويخطىء كما يخطئون ، ويصيب كما يصيبون ، فإذا أخطأ نقد ، وإذا أصر على الخطأ عزل ، وهو ليس إلا خادماً للأمة . فإذا لم يؤد الخدمة نحى . وبين قوم يرون أن إمامهم معصوم لا يأتى بخطأ ، ويجب أن تحور العقول ويقلب وضعها فى الرؤوس حتى تفهم أن ما يأتى الإمام به عدل كائناً ما كان. وانظر كيف يسعد الأولون وكيف تحرر عقولهم ؛ وكيف يحشام إمامهم . وكيف يسمون دائماً نحو الكمال بما يثيرون من نقد وما يعالجون من إصلاح . وكيف يفسد أمر الآخرين ، وتشل عقولهم ، ويتدهورون فى شئونهم)[1] .

ودعوى عصمة الخلفاء دعوى غريبة عن الإسلام وفكره ، وقد اقتبسها الشيعة من المجوس فقد كانو يضفون على ملوكهم صفة التقديس ، ويطيعونهم طاعة عمياء ، ويرون أنهم عبيد لهم ..

أما دعوى أن رسول الله ﷺ أوصى بالخلافة من بعده لعلى رضى الله عنه فهى دعوى مردودة، وليس لها سند صحيح ، بل إن الأحاديث الصحيحة وردت بان رسول الله ﷺ ترك أمر الخلافة ولم يوص لأحد من أصحابه لا لعلى ولا لغيره ، وإن كان وصى بأشياء أخرى غير الخلافة .. من ذلك مثلا ما جاء فى صحيح البخارى « عن الأسود قال: ذكروا عن عائشة أن علياً رضى الله عنه كان وصياً فقالت : متى أوصى إليه ، وقد كنت مسندته إلى صدرى أو قالت : متى أوصى إليه ، وقد كنت مسندته إلى صدرى أو قالت : حجرى بالطست فى حجرى فما شعرت أنه مات ، متى أوصى إليه »[2] .

وجاء فى صحيح البخارى كذلك « عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما

---

(١) ضحى الإسلام ٣/٢٢٥ .

(٢) أخرجه البخارى فى الوصايا ، باب : الوصايا ٥/٢٧٨

قال : قيل لعمر : ألا تستخلف قال : إن استخلف فقد استخلف من هو خير مني أبو بكر . وإن أترك فقد ترك من هو خير مني رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فأثنوا عليه فقال : راغب راهب وددت أني نجوت منها — كفافا — بفتح الكاف — لا لي ولا علي لا أتحملها حياً وميتاً »[1] .

والحديثان صريحان في عدم استخلاف النبي ﷺ لأحد ، وقد علق ابن الحجر على الحديث الأول فقال (قال القرطبي : كانت الشيعة قد وضعوا أحاديث في أن النبي ﷺ أوصى بالخلافة لعلي ، فرد عليهم جماعة من الصحابة ذلك ، وكذا من بعدهم ، فمن ذلك ما استدلت به عائشة رضي الله عنها .. ومن ذلك أن علياً لم يدع ذلك لنفسه ولا بعد أن ولي الخلافة ، ولا ذكره أحد من الصحابة يوم السقيفة . وهؤلاء الشيعة — تنقصوا علياً من حيث قصدوا تعظيمه لأنهم نسبوه مع شجاعته العظمى وصلابته في الدين إلى المداهنة والتقية ، والإعراض عن طلب حقه مع قدرته على ذلك ... وقد أخرج أحمد وابن ماجه بسند قوي عن ابن عباس ... مات رسول الله ﷺ ولم يوص ... وأخرج أحمد والبيهقي في الدلائل .. عن علي أنه لما ظهر يوم الجمل قال : يا أيها الناس إن رسول الله ﷺ لم يعهد إلينا في هذه الإمارة شيئاً)[2] فقد اتضح مما سبق ما يقطع على الشيعة ادعاءهم بوصاية النبي ﷺ بالخلافة لعلي أو غير علي .. وعلق ابن حجر على الحديث الثاني أيضاً وقال (وفيه رد على من زعم من الراوندية[3] أن النبي صلى الله

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأحكام ، باب : الاستخلاف ١٧٥/١٣

(٢) فتح الباري ٢٧٨/٥

(٣) فرقة قالت بتناسخ الأرواح . وادعت وصاية النبي ﷺ =

عليه وسلم نص على العباس ، وعلى قول الروافض كلها أنه نص على على
ووجه الرد عليهم إطباق الصحابة على متابعة أبى بكر ثم طاعته فى مبايعة
عمر ثم على العمل بعهد عمر فى الشورى . ولم يدع العباس ولا على أنه
ﷺ عهد له بالخلافة)[1] . هذا هو الصحيح الثابت عن رسول الله ﷺ
وعن جميع أصحابه . وما جاء بخلاف ذلك من وصية رسول الله ﷺ لعلى
أو لغيره كما تدعى فرق الشيعة أو غيرها فهو غير صحيح ، وإذا ذكرت
أحاديث فى شأن الوصية لعلى فى هذا الخصوص فهى من وضع الشيعة ،
وأقل حكم عليها أنها أحاديث ضعيفة وتأولتها الشيعة لمآربها ، وهى لا تصمد
أمام الأحاديث الصحيحة .. هذا وما قيل عن عقيدتهم فى الإمام والرد
عليهم يمكن أن يقال فى عقيدتهم فى المهدى المنتظر ..

ثالثاً : عقيدتهم فى التأويل :

يرى الفاطميون . ومن فلولهم فرقة البهرة أن لكل شىء ظاهرا وباطنا
ومن لا يؤمن بالباطن فليس منهم ، ولا من المسلمين .. فالإيمان بالباطن
وبخاصة باطن القرآن الكريم — هو أساس عقيدتهم .. ومن هنا كان من
أسمائهم الباطنية وأيضاً من لا يؤمن بالباطن فالكلب عندهم خير منه[2] .
ولهم أقوال كثيرة فى إثبات قولتهم هذه . من هذا أنهم استشهدوا بقصة

= للعباس بالخلافة من بعده .. وزعمت أن روح الإله دارت فى الأنبياء
ثم فى الأئمة إلى أن صارت فى أبى مسلم صاحب دولة بنى العباس ، تعالى
الله عن ذلك علوا كبيرا . انظر : الفرق بين الفرق ص ١٦٣ ، ومروج
الذهب للمسعودى ٣٥٢/٣ تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد ، دار الفكر
١٩٧٣م ، وغلاة الشيعة د / الزغبى ص ٣٣٦

(١) فتح البارى ١٧٦/١٣

(٢) انظر : إسلام بلا مذاهب د / مصطفى الشكعة ص ١٤٣

موسى مع الخضر فى القرآن حينما خص الله الخضر بعلم الباطن مع كونه ليس نبيا ، وعدم معرفة موسى بذلك مع كونه نبيا ، واستدلوا بذلك على أنه من المقبول — فى نظرهم — ألا يعلم النبى علم الباطن وأن يعلمه على[1] ولم يدرك هؤلاء المغزى الحقيقى لقصة موسى عليه السلام مع الخضر .. وتأويلات الشيعة ومنهم فرقة البهرة لا تظهر إلا إذا قويت شوكتهم ، ودالت البلدان ، وظهرت لهم دولة ، أما إذا إنهارت دولتهم وغلبوا فإنهم يلوذون بالتستر ، لا يظهرون للناس إلا الظاهر ولا يقولون إلا به وانكروا التأويل الباطنى خوفاً على أنفسهم من المسلمين ، وبخاصة لو كانوا قلة فى بلد ما .. وفى هذا الوقت لا يسمح إلا لكبار الدعاة عندهم بمعرفة أسرار التأويل .. وهذا هو حال فرقه البهرة التى تمثل بقايا الإسماعيلية المستعليه والفاطمية المقهورة .. والتى يدور البحث حولها . إنهم الآن لضعفهم يتظاهرون بالصلاة والصيام وحج البيت كل هذا وغيره أمام السنيين .. لكنهم يفعلون ذلك ويقولون به ، وفى أنفسهم تأويلات خاصة بهم .

نماذج من تأويلاتهم الباطنية :

الذين اتيحت لهم فرصة الإطلاع على بعض أسرارهم ، ونقلها إلينا كثير من العلماء ، ذكروا لنا كثيرا من هذه التأويلات وأذكر طرفاً منها ، مع مراعاة اختـــلاف فرق الشيعة فى التأويل الواحد . ومن وقت لآخر ..

يقول ابن الجوزى (قالوا . معنى الجنابة : مبادرة المستجيب بإفشاء السر .. ومعنى الغسل : تجديد العهد على من فعل ذلك .. ومعنى الزنا : إلقاء

---

(١) انظر : المرجع السابق ص ٢٤٨

نطفة العلم الباطن فى نفس من لم يسبق معه عقد العهد .. والصيام: الإمساك عن كشف السر .. والكعبة : هى النبى .. والباب ، هو على . والطوفان : العلم أغرق به المتمسكون بالشبهة .. والسفينة . الحرز الذى يحصن به من استجاب لدعوته .. ونار إبراهيم : عبارة عن غضب نمرود لا عن نار حقيقية .. وذبح اسحاق [1] معناه : اخذ العهد عليه .. وعصى موسى : حجته .. ويأجوج ومأجوج : هم أهل الظاهر) [2].

وقد أورد الأستاذ ناصر الدين شاه نماذج كثيرة لتحريفهم فى معانى القرآن الكريم منها (قالوا فى قوله تعالى « أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه » [3] البينة هو محمد والشاهد هو على بن أبى طالب) [4]. وهذا تأويل غير صحيح، والمعنى الصحيح هو ماذكره المفسرون المتقنون ، والذين تتبعوا معانى القرآن من القرآن أو من سنة رسول الله ﷺ أو من أقوال الصحابة رضوان الله عليهم جميعا إلى غير ذلك من شروط المفسر . فقد قال ابن كثير أن البينة فى الآية هى الفطرة وقد استدل بالقرآن والسنة على ذلك . وقال الشاهد هو ما أوحاه الله تعالى إلى الأنبياء من الشرائع المطهرة المكملة المعظمة المختتمة بشريعة سيدنا محمد صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين ، وقيل الشاهد هو سيدنا جبريل عليه السلام . وكلا المعنيين قريب لأن كلا من جبريل ومحمد عليهما الصلاة والسلام بلغ رسالة الله تعالى فجبريل بلغ محمد ﷺ، ومحمد ﷺ بلغ الأمة. وبهذا ينكشف تحريفهم فى التأويل

---

(١) لقد وقعوا فى خطأ تاريخى ، لأن الذبيح هو سيدنا إسماعيل عليه الصلاة والسلام وليس اسحاق ، لكنهم اقتبسوا هذا من قول اليهود .

(٢) تلبيس إبليس ص ١٠٨ ، مكتبة الدعوة ١٣٦٨ ﻫ

(٣) سورة هود آية ١٧

(٤) العقائد الشيعية ص ٩٠

والتفسير . ومن العجيب أن الإمام ابن كثير أورد قول سيدنا علي في تفسير الشاهد أنه محمد ﷺ[1] .

ومن تأويلهم الباطني المنحرف يقولون في قوله تعالى « وجعلنا له نورا يمشي به في الناس »[2] «النور هو الإمام علي ومن بعده من الأئمة .. والتفسير الصحيح المعتمد عند أئمة التفسير أن النور هنا هو القرآن الكريم أو الإسلام وكلاهما صحيح[3] وبعيد كل البعد عن تأويل الباطنية ..

ومن تأويلاتهم البعيدة عن الصواب . يقولون في معنى قوله تعالى « من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون . ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم في النار هل تجزون إلا ما كنتم تعملون »[4]

قالوا . الحسنة في الآية الأولى هي . معرفة الولاية وحب آل البيت، والسيئة في الآية الثانية هي : إنكار الولاية .. والتفسير المعتمد من شيوخ المفسرين أن الحسنة هنا هي لا إله إلا الله أو الإخلاص أو كل عمل صالح قائم على التوحيد ، والسيئة هي : الشرك أو كل عمل قبيح نهانا الله تعالى عنه[5] .

ومن تأويلاتهم الباطنية الباطلة قولهم حول معنى قول الله تعالى « إن أكرمكم عند الله اتقاكم »[6] قالوا معناها أكثركم تقية أي كذبا[7] .

---

(١) انظر : تفسير القرآن العظيم ٤٤٠/٢

(٢) سورة الأنعام آية ١٢٢

(٣) انظر . تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١٧٢/٢

(٤) سورة النمل الآيتان ٨٩، ٩٠

(٥) انظر : تفسير القرآن العظيم ٣٧٨/٣

(٦) سورة الحجرات آية ١٣ (٧) انظر العقائد الشيعية ص ٩٠

وهذا لم يقل به أحد قط سواهم فإن الكذب محرم على المسلم ، ووصف الاسلام أن الكذاب منافق ، والكذاب خسيس ومخادع وجبان وكلها صفات لا يرضاها الاسلام لأتباعه، ومعنى « أتقاكم » فى الآية أن التقوى فعل المأمورات واجتناب المنهيات — والأتقى من المسلمين هو الذى يحاول أن يبلغ الغاية فى فعل المأمورات واجتناب المنهيات[1] .

ومن تأويلهم الخارج عن الصراط السوى للمفسرين قولهم فى قوله تعالى « يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس إن الله لا يهدى القوم الكافرين »[2] فقالوا فى قوله تعالى « يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته » أى بلغ أن عليا خليفتك ، ولكن النبى خشى من انصراف قومه والمنافقين عنه فلم يفعل .. ورواية أخرى تقول عن تأويلهم هذه الآية : قال أحدهم : كنا نقرأ على عهد رسول الله : بلغ ما أنزل إليك من ربك أن عليا مولى المؤمنين ، ورواية ثالثة : يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك فى على فإن لم تفعل عذبتك عذابا أليما[3] .

وهذا قمة التحريف والزيغ .. والتفسير الصحيح فى شأن التبليغ أن الله تعالى خاطب رسوله ﷺ باسم الرسالة ، وآمرا له بإبلاغ جميع ما أرسله به ..

وقد امتثل عليه أفضل الصلاة والسلام ذلك ، وقام به خير قيام »[4]

---

(١) انظر : تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢١٧/٤

(٢) سورة المائدة الآيه ٦٧

(٣) انظر : العقائد الشيعية ص ٩١

(٤) انظر : تفسير القرآن العظيم لإبن كثير ٧٧/٢

ولم يكتم شيئا مما أمره الله تعالى به ، ولو كان كتم ما قال به الشيعة فأين العذاب الذى وقع به ، وكيف يكون أمينا على وحى الله تعالى ، كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا ».

ولقد جاء فى الصحيحين ما يؤكد أن رسول الله ﷺ لم يكتم شيئا مما أوحاه الله تعالى إليه، ومن زعم ذلك فقد كذب على الله ورسوله كذبا شنيعا ، ففى صحيح مسلم « عن مسروق قال : كنت متكئا عند عائشة — رضى الله عنها — فقالت : يا أبا عائشة : ثلاث من تكلم بواحدة منهن فقد أعظم على الله الفرية[١] ، قلت : ما هن؟ قالت : من زعم أن محمدا ﷺ رأى ربه فقد أعظم على الفرية ، قال وكنت متكئا فجلست فقلت : يا أم المؤمنين : أنظرينى ولا تعجلينى ، ألم يقل الله عز وجل « ولقد رآه بالأفق المبين »[٢] « ولقد رآه نزلة أخرى »[٣] فقالت : أنا أول هذه الأمة سأل عن ذلك رسول الله ﷺ . فقال : إنما هو جبريل لم أره على صورته التى خلق عليها غير هاتين المرتين ، رأيته منهبطا من السماء سادا عظم خلقه ما بين السماء إلى الأرض .

فقالت : ألم تسمع أن الله يقول « لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير »[٤] أو لم تسمع أن الله يقول « وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحى بإذنه

---

(١) بكسر الفاء وإسكان الراء هى الكذب وجمعها فرى ، ويلاحظ وصفها بالعظم انظر : لسان العرب لإبن منظور ٣٤٠٨/٥ دار المعارف

(٢) سورة التكوير الآية ٢٣

(٣) سورة النجم الآية ١٣

(٤) سورة الأنعام آية ١٠٣

ما يشاء إنه على حكيم »[1] ومن زعم أن رسول الله ﷺ كتم شيئا من كتاب الله فقـــد أعظم على الله الفرية والله يقول « يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته » قالت : ومن زعم أنه يخبر بما يكون فقـد أعظم على الله الفرية والله يقول « قل لا يعلم من فى السموات والأرض الغيب إلا الله »[2] .

وفى رواية قالت « ولو كان محمد ﷺ كاتما شيئا مما أنزل عليه لـكتم هذه الآية « وإذ تقول للذى أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفى فى نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه »[3] .

وجاء فى صحيح البخارى « قال الزهرى : من الله الرسالة وعلى الرسول البلاغ وعلينا التسليم »[4] .

وقال ابن كثير (وقـد شهدت له أمته بإبلاغ الرسالة وأداء الأمانة واستنطقهم بذلك فى أعظم المحافل فى خطبتـه يوم حجـة الوداع ، وقد كان هناك من أصحابه نحو من أربعين ألفا ، وقـــد قالوا له « نشهد أنك بلغت وأديت ونصحت »)[5] .

---

(١) سورة الشورى الآية ٥١ (٢) سورة النمل آية ٦٥

(٣) سورة الأحزاب آية ٣٧ .والرواية الأولى والثانية أخرجهما مسلم فى كتاب : الإيمان ، باب : معنى قول الله عزوجل « ولقد رآه نزلة أخرى ١٠:٨/٣

(٤) أخرجه البخارى فى التوحيد ، باب : يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك ، ٤٣١/١٣

(٥) تفسير القرآن العظيم ٧٧/٢

ومن العجب أن سيدنا على ابن أبى طالب كرم الله وجه قد صرح — كما روت كتب السنة — أن رسول الله ﷺ لم يخصه بشىء من القرآن الكريم ولا من الأحاديث النبوية ، فقد روى البخارى فى صحيحه « عن أبى جحيفة قال: قلت لعلى رضى الله عنه هل عندكم شىء مما ليس فى القرآن وقال عيينة مرة ماليس عند الناس؟ فقال: والذى فلق الحبة وبرأ النسمة ما عندنا إلا ما فى القرآن إلا فهما يعطى رجل فى كتابه ، وما فى هذه الصحيفة قلت : وما فى الصحيفة ؟ قال : العقل وفكاك الأسير وأن لا يقتل مسلم بكافر »[1] .

وقد روى البخارى هذا الحديث فى مواضع متعددة من صحيحه ، وأن الذى سأله عن هذا عدد كبير من الصحابة والتابعين . وقد أورد ابن حجر سببا لسؤال الناس له هـذا فقال (وذلك لأن جماعة من الشيعة كانوا يزعمون أن عنـد أهل البيت لا سيا عليا أشياء من الوحى خصهم النبى ﷺ بها لم يطلع غيرهم عليها)[2] فكان هذا الجواب الشافى المفحم .

وقد أورد الإمام الغزالى الكثير من سخافاتهم حول تأويلهم لآيات القرآن الكريم ، وقد رد عليهم وأحسن وأجاد[3] .

ومن غلوهم الفاضح المكشوف ماذكره ابن كثير من أن الشيعة فى سنة ٣٩٨ هـ أحضرت مصحفا محرفا وقالوا إنه مصحف عبد الله بن مسعود

---

(١) أخرجـه البخارى فى كتاب : الديات ، باب : لا يقتل المسلم بالكافر ٢١٩/١٢

(٢) فتح البارى ٣٦٥/١

(٣) انظر : فضائح الباطنية ص ٥٥ وما بعدها ، وانظر : مزيداً من تأويلهم المنحرف : العقائد الشيعية لناصر الدين شاه ص ٩٠ وما بعدها وضحى الإسلام لأحمد أمين ٢٣٧/٣

وهذا المصحف مخالف للمصحف الذى بين يدى جميع المسلمين المحفوظ فى الصدور وفى السطور ، فجمع الأشراف والقضاة والفقهاء فى يوم الجمعة ليلة بقيت من رجب ، وعرض المصحف عليهم ، فأشار الشيخ أبو حامد الإسفرايينى والفقهاء بتحريقه ففعل ذلك بمحضر منهم ، فغضب الشيعة من ذلك غضبا شديداً وجعلوا يدعون ليلة النصف من شعبان على من فعل ذلك ويسبونه . ودارت أحداث وفتن عظيمة بسبب ذلك .

وقد كان مصحف الشيعـــة يحتوى على ٧١٠٠ آية وليس ٦٦٦٦ آية وإنما حذف أهل السنة الآيات التى جاء فيها على[1] وهكذا يفترون ، وهكذا يضعون العقبات أمام الدعاة المخلصين وأمام المدعوين الراغبين الدخول فى الإسلام . ففتنهم قديمة حديثة .

ومن الغريب عندهم كذلك أنهم لا يأخذون إلا بالأحاديث الشريفة التى رواها الشيعة فقط .

يقول أحمد أمين (إنهم لا يأخذون الحديث إلا ممن كان شيعيا ، ولا يأخذون علما إلا ممن كان شيعيا ، ولا يثقون برواية تاريخ إلا ممن كان شيعيا ، ولذلك كانت أحاديثهم وفقهم وأصول فقههم ورواية تاريخهم محصورة كلها فى المتشيعين)[2]

---

(١) انظر : البداية والنهاية لابن كثير ٤٣٢/٦ دار الغد ، وانظر : عقائد الشيعة ص٩٢

(٢) ضحى الإسلام أحمد أمين ٢٥٣/٣ ، وتوجد كتب منشورة بيننا فيها مغالطات وتحريفات مفزعة للشيعة ، وهى تجعل كثيرا من الناس يعيشون فى بلبلة ، وعقبة كؤد أمام الدعاة ، أنظر مثلا : كتاب الشيعة فى عقائدهم وأحكامهم للشيعى / السيد أمير محمد الكاظمى القزوينى دار الزهراء بيروت .

وبهذا الفعل المريب الشنيع يودون ضياع معالم الدين، لكن إن عاشوا وسط السنيين وهم أقل عددا وعدة فباطنهم شيعى وظاهرهم سنى تقية[1] .

---

(١) والتقية هى المداراة والكذب وإخفاء الحقيقة، واظهار الاتفاق بخلاف الباطن. انظر : لسان العرب ٤٩٠٣/٩، وعقيدة الشيعة تقول بمبدأ التقية ، ومن لا يؤمن به فليس منهم، وقد قال الكلينى -وهو أحد أئمتهم الكبار، وواحد من كتابهم (عن أبى الحسن : أن تسعة أعشار الدين فى التقية ، ولا دين لمن لا تقية له ... وقد سئل أبو الحسن عن القيام للولاة فقال : قال أبو جعفر : التقية من دينى ، ودين آبائى ، ولا إيمان لمن لا تقية له) . نقلا من كتاب : عقائد الشيعة ص١٣١ (بتصرف)، وانظر : ضحى الإسلام ٢٤٨/٣ ، وقال (كثير من الشيعة — والبهرة منهم — إنه يحسن بمن اجتمع مع أهـــل السنة أن يوافقهم فى صلاتهم وصيامهم وسائر ما يدينون به) المرجع السابق ص ١٣٢ ، وعلى ذلك فقد فسروا كثيراً من أعمال الأئمة أنهم فعلوها تقية فمثلا سكوت على على خلافة أبى بكر وعمر وعثمان كانت تقية ، ومصالحة الحسن لمعاوية كانت تقية وهكذا انظر : المرجع السابق ص ١٣٢ وضحى الإسلام ٢٤٧/٣ ، وقد ذكر الدكتور الشكعة نماذج من فتاويهم المختلفة فى الأمر الواحد ، وكانوا يعللون ذلك بمبدأ التقية ويقولون لأتباعهم (إنما اجبنا بهذا للتقية ، ولنا أن نجيب بما أحببنا ، وكيف شئنا ، لأن ذلك إلينا ، ونحن نعلم بما يصلحكم ، ومافيه بقاؤنا وبقاؤكم) إسلام بلا مذاهب ص ٢٠٤ وقالوا (من صلى وراء سنى تقية فكأنما صلى وراء نبى) ضحى الإسلام ٢٤٨/٣

وبهذا فقد انحرفوا عن التفسير للمفسرين الراشدين فى معنى قوله تعالى : « لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله فى شىء إلا أن تتقوا منهم تقاة ويحذركم الله نفسه وإلى الله =

رابعاً : موقفهم من صحابة رسول الله ﷺ :

عندما اعتقد الشيعة ومن بينهم الفاطميين وفرقة الهرة من بقاياهم ، عندما اعتقدوا أن على بن أبى طالب هو الخليفة بعد رسول الله ﷺ بعد وصايته له ، ولما تولى الأمر بعد رسول الله ﷺ أبو بكر ثم عمر ثم عثمان رضوان الله عليهم جميعاً ، ولم يتوله على اعتقدوا أن المسلمين من صحابة رسول الله ﷺ قد اغتصبوا الخلافة من على وأهل بيته من بعده ، وهنا إنهالوا بالسب واللعن على صحابة رسول الله ﷺ وبخاصة أبو بكر وعمر وعثمان ومن وافقهم من المسلمين ومازال هذا الإعتقاد سائداً حتى اليوم وبالتالى مازال السب والطعن قائماً ، وأصبح عقيدة عند أكثر فرق الشيعة .

يقول ناصر الدين شاه : (أصبح لعن أبى بكر وعمر وعثمان وغيرهم من الصحابة الكرام صلاة وتسبيحاً لهم ، وإن من يدخل مسجد قم أو أى مسجد من مساجد إيران أو يدخل مسجد النجف أو كربلاء أو غيرها من المساجد الشيعية فى كل بلاد العالم لا يسمع من الصلاة إلا اللعنة علناً وجهراً)[1] .

ويظهر هذا جلياً عند نياحتهم على الحسين كل سنة فى العاشر من شهر المحرم — فى ذكرى استشهاده — ومع أنهم يفعلون الأعاجيب فى هذه المناسبة[2] البعيدة كل البعد عن المنهج الإسلامى ، ألا أن أكبر افتراءاتهم

= المصير ، سورة آل عمران الآية ٢٨ وانظر تفسيرها فى تفسير القرآن العظيم لإبن كثير ٣٥٧/١ .

(١) عقائد الشيعة ص ١٢٣

(٢) انظر غرائبهم فى هذه المناسبة البداية والنهاية لإبن كثير ٣١٢/٦

فى هذه المناسبة هو تجـديد السب واللعن لسادة الصحابة الأجلاء ، يقول ناصر الدين شاه : (والنياحة ليست بكاء على الحسين فقط بل هى عبارة عن شتائم ولعنات تصب على سادة الصحابة ذاكرين أسماءهم ... ولا يزالون إلى اليوم يرون فى هذا الشتم صلاة وتسبيحاً ، وإن من يدخل مساجد إيران المشهورة مثل قم أو أصفهان وشيراز يستقبله السدنة من الباب ويطلبون إليه لعن الصحابة بأسمائهم كتحية المسجد ، وأما فى بلاد المسلمين فإن الشيعة يفعلون ذلك سراً)[1] .

وهذا من معتقداتهم وإيمانهم العميق بمبدأ التقية كما سبق — وأيضاً عند كثرتهم وتجمعهم ، وكون السلطان معهم فعند ذلك يظهرون ما يبطنون من معتقداتهم ومنها سب الصحابة ولعنهم ، وقد جاء فى كتاب الوشيعة فى نقد عقائد الشيعة للأستاذ الفاضل موسى جار الله قوله (وأول شىء سمعته ، وأكره شىء سمعته فى بلاد الشيعة هو : لعن الصديق والفاروق وأمهات المؤمنين والسيدة عائشة والسيدة حفصة ، ولعن العصر الأول كافة فى كل خطبة وفى كل حفلة ومجلس ، وفى البدء والنهاية ، وفى ديباجة الكتب والرسائل ، وفى أدعية الزيارات كلها ، حتى فى الأسقية ما كان يسقى ساق إلا ويلعن ، وما كان يشرب شارب إلا ويلعن ، وأول كل حركة وكل عمل هو الصلاة على محمد وآل محمد واللعن على الصديق والفاروق وعثمان الذين غصبوا حق أهل البيت وظلموهم)[2] .

ومن المعروف أن دعواهم فى اغتصاب الخلافة من على كرم الله وجهه

---

(١) عقائد الشيعة ص ١٣٨ وانظر : الفرق بين الفرق ص ٢٤ وضحى الإسلام ٣/٢٥٠

(٢) المرجع السابق ص ١٣٩

لا أساس لها من الصحة ولا دليل ولا براهين عليها[1] ... وإنما ادعوا هذا لتنفيذ خطط خصوم الإسلام ، وتمزيق الأمة الإسلامية وكذلك انحصار مجالات الدعوة إلى الله عز وجل ، فبدلا من أن يتفرغ المسلمون لنشر الإسلام وأحكامه وأخلاقه بين الناس فى كل مكان والعمل على تثبيت دعائم الحق فى دنيا الناس ، بدلا من ذلك فإنهم يختلقون مثل هذه الشبه . ويعملون على بثها بين المسلمين، وتشكيكهم فى صحابة رسول الله ﷺ ، وفى التاريخ الإسلامى المشرق بهم ، ووضعهم فى دائرة الدفاع عنهم والتفرغ لذلك مما يقوض دعائم الدعوة والدعاة ، وكذلك مما يجعل المسلمين نهباً ومطمعاً للأعداء .

وقد ذكر ابن كثير أحداثاً مفزعة أصابت المسلمين عندما شغلتهم الشيعة بمثل هذه الشهوات المضللة من أعداء الإسلام ، فقد ذكر مثلا فى أحداث سنة ثنتين وخمسين وثلثمائة من الهجرة فى ترجمته عن النقفور ملك الأرمن فقال (كان هذا الملعون من أغلظ الملوك قلباً ، وأشدهم كفراً ... وأكثرهم قتلا وقتالا للمسلمين واستحوذ فى أيامه لعنه الله على كثير من السواحل وأكثرها انتزعها من أيدى المسلمين قسراً ، واستمرت فى يده قهراً . وأضيفت إلى مملكة الروم قدراً . وذلك لتقصير أهل ذلك الزمان ، وظهور البدع الشنيعة فيهم ، وكثرة العصيان من الخاص والعام منهم ، وكثرة الرفض والتشيع منهم ، وقهر أهل السنة بينهم ، فلهذا أديل عليهم أعداء الإسلام)[2] .

---

(١) وضع الشيعة أحاديث كثيرة لإثبات صحة معتقدهم هذا انظر البداية والنهاية ٤٥٨/٩

(٢) البداية والنهاية ٣٢٢/٦

وقد ذكر أشياء كثيرة من هذا القبيل بسبب ما يثيره الشيعة من شهوة الفساد والإفساد بين المسلمين ، كما يثيرون الشكوك بين من يريد الدخول فى الإسلام من الناس ويساعدهم على كل هذا خصوم الإسلام ... سواء من الداخل أم من الخارج ، ويتسللون بشيعهم وشهوات ضلالهم بالحط من شأن صحابة رسول الله ﷺ ، ويدخلون بهذا من باب حبهم لآل البيت وتشيعهم لهم ... والقصد من كل هذا محاولتهم المستميتة لتقويض حقائق الإسلام ، فسب الصحابة والطعن فيهم بما ليس فيهم يعنى الطعن فيما نقلوه إلينا من القرآن الكريم وبخاصة سنة رسول الله ﷺ فهم مثلا لا يأخذون بحديث من الأحاديث ولو بلغت حد التواتر مادام رواتها من أصحاب رسول الله ﷺ لكنهم ليسوا من نسل على بن أبى طالب ..

وهذا غلو مشين وضياع للحقائق الثابتة التى استقرت عند أهل السنة والجماعة . . . وفضائل أصحاب رسول الله ﷺ لا ينكرها إلا جاحد أو منافق أو زنديق أو فاسق .

وأذكر هنا نبذة عن فضائل أصحاب رسول الله ﷺ الذين يتعرضون لسب ولعن هؤلاء ..

نبذة عن فضائل أصحاب رسول الله ﷺ :

إن أصحاب رسول الله ﷺ هم أول من تلقوا عن رسول الله ﷺ وحى الله تعالى ..وهم القلوب الصافية الطاهرة التى امتلأت منه نورا وعلما وهم الأوعية النقية التى شغفت بحب الإسلام ، وهم الذين حملوا نور الإسلام إلى ربوع الدنيا وهم الذين عاشوا حياتهم وضحوا بأرواحهم فى سبيل حماية الإسلام .. فهم منارات الهدى والعلم والخير ، ومعالم النور والجمال والحرية فى هذه الدنيا . . والأهم من هذا أنهم الذين زكاهم ربهم

فى كتابه العزيز ومازال عبيرهم الزكى يفوح لكل من يقرأ كتاب الله تعالى إلى آخر أيام الدنيا . وكذلك كل من يقرأ سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ولنذكر طرفا فى هذا لعل هؤلاء ومن على شاكلتهم يراجعون أنفسهم .

بعض الآيات الكريمة :

١ — يقول الله تعالى: « والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجرى تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم »(١) .

وذكر فضل أصحاب رسول الله ﷺ فى هذه الآية واضح جلى .

(أ) سبقهم فى تلقى الدعوة الإسلامية والجهاد فى سبيلها ، وحملها إلى الناس ، وفضل السابق إلى الخير له قيمته ووزنه « والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار » .

(ب) رضى الله تعالى عنهم جميعاً ، ومنزلة الرضا هذه لاتدانيها منزلة « رضى الله عنهم » .

(ب) رضاهم القلبى بكل أحكام الإسلام ، وتطبيقهم العملى لشرع الله تعالى وسنة رسوله ﷺ « ورضوا عنه » .

(د) جزاهم الله تعالى من فضله خير الجزاء « وأعد لهم جنات تجرى تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً » .

---

(١) سورة التوبة الآية ١٠٠

(هـ) أن أصحاب رسول ﷺ فازوا فوزا باهرا ، وصفه رب العزة بقوله : « وذلك الفوز العظيم » .

(و) وأن أصحاب رسول الله ﷺ لم يكونوا من أهل البيت فقط بل كانوا من أهل البيت وغير أهل البيت فكانت تزكية الله تعالى للجميع؛ فمن أين أتوا بجواز سب أصحابه الذين ليسوا من أهل البيت وليس في القرآن الكريم ولا في السنة النبوية مايخص أهل البيت وحدهم بالتزكية .

(ز) إن قيل إن أصحاب رسول الله ﷺ قد تغيروا بعد وفاة رسول الله ﷺ ، فهذا قول باطل والآية السابقة ترد عليهم فهي مطلقة وليست خاصة بوقت حياة رسول الله ﷺ ، ورب العزة عالم الغيب والشهادة ، فلو علم أنهم يتغيرون بموت رسوله ﷺ ما كان زكاهم هذه التزكية الأبدية في الدنيا والآخرة .

وقال ابن الجوزي عن قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لاتتخذو عدوى وعدوكم أولياء » ، وقول رسول الله ﷺ في سيدنا حاطب « إنه شهد بدراً ومايدريك — خطاب لعمر رضي الله عنه — لعل الله أطلع على أهل بدر فقال : أعملوا ماشئتم فقد غفرت لكم » .

قال ابن الجوزي : (وقد ظهر لي أن هذا الخطاب — « يا أيها الذين آمنوا » الآية — خطاب إكرام وتشريف تضمن أن هؤلاء حصلت لهم حالة غفرت بها ذنوبهم السالفة وتأهلوا أن يغفر لهم مايستأنف من الذنوب اللاحقة ، وقد أظهر الله صدق رسوله في كل من أخبر عنه بشيء من ذلك فإنهم لم يزالوا على أعمال أهل الجنة إلى أن فارقوا الدنيا ولو قدر وصدر شيء من أحدهم لبادر إلى التوبة ولازم الطريق المثلى ويعلم ذلك من أحوالهم بالقطع من أطلع على سيرتهم)[1] .

---

(١) نقلا من فتح الباري لإبن حجر ٥١٥/٧ .

والآيات والأحاديث الآتية — إن شاء الله تعالى — فيها توضيح لهذا أيضا ..

٢ — ويقول جل ذكره : « لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا »[1] .

فالآية تؤكد ما سبق في الآية الأولى من رضى الله تعالى عنهم ، وإنزال الطمأنينة عليهم ، وعلمه جل شأنه بما في قلوبهم من الإخلاص والصفاء ، وبشارتهم بالنصر المبين ، ومن المعروف في كتب التفسير والأحاديث والسير أن الذين بايعوا رسول الله ﷺ كانوا — على أقل تقدير — ألف وأربعمائة[2] فهل كان هذا العدد هم من آل البيت وحدهم؟!! وألم يكن فيهم أبو بكر الصديق والفارق عمر ، وهل كانت هذه البيعة — بيعة الرضوان وهذا الاستنفار إلا من أجل عثمان بن عفان ذو النورين بعد أن أشيع أن قريشا قتلته هل من مجيب من الشيعة الذين يتعرضون لسب ولعن أصحاب رسول الله ﷺ ؟ ! نسأل الله تعالى لهم الهداية والرجوع إلى سبيل الرشاد ، إن كانوا حقا يؤمنون بالقرآن .

٣ — ويقول سبحانه وتعالى : « للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون . والذين تبوؤا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على

---

(١) سورة الفتح الآية ١٨
(٢) انظر : تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١٨٥/٤ ، والبداية والنهاية ٩٥/٧ والسيرة النبوية لابن هشام ١٧٤/٣ مكتبة حيدو .

أنفسهم ولو كان بهم خصاصة[1] ، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم

---

(١) الخصاصة : فسرها البخارى بالفاقة والمعنى يقدمون المحاويج على حاجة أنفسهم ويبدؤن بالناس قبلهم فى حال احتياجهم إلى ذلك ، انظر : صحيح البخارى ٥١٢/٨ ، وتفسير القرآن العظيم ٣٣٨/٤ .

وقد ذكر البخارى سبب نزول هذه الآية فقال : « عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : أتى رجل رسول الله ﷺ فقال : يارسول الله أصابنى الجهد ـ الجوع هنا ـ فأرسل رسول الله ﷺ إلى نسائه فلم يجد عندهن شيئا فقال رسول الله ﷺ : ألا رجل يضيفه هذه الليلة يرحمه الله فقام رجل من الأنصار — أبو طلحة — فقال : أنا يا رسول الله ، فذهب إلى أهله فقال لإمرأته : ضيف رسول الله ﷺ — لاتدخريه شيئاً ، قالت : والله ماعندى إلا قوت الصبية ، قال : فإذا أراد الصبية العشاء فنوميهم ، وتعالى فأطفىء السراج ، ونطوى بطوننا الليلة ، ففعلت ثم غدا الرجل على رسول الله ﷺ فقال : لقد عجب الله عزوجل أوضحك من فلان وفلانة فأنزل الله عزوجل « ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة » الآية . كتاب التفسير ، باب : قوله « ويؤثرون على أنفسهم » الآية ٥١٢/٨

قال ابن حجر هذا هو الأصح فى سبب نزول هذه الآية ومع هذا فقد ذكر (عن ابن عمر — قال — أهدى لرجل رأس شاة فقال : إن أخى — فلان — وعياله أحوج منا إلى هذا فبعث إليه فلم يزل يبعث به واحدا إلى الآخر حتى رجعت إلى الأول بعد سبعة ، فنزلت ، وقال ابن حجر — ويحتمل أن تكون نزلت بسبب ذلك كله) فتح البارى ٩٥/٧ . وانظر : أسباب النزول للسيوطى ص ٢٦٩ مكتبة نصير .

وقال ابن كثير : لقد حدث هذا كثيرا من أصحاب رسول الله ﷺ من ذلك : الماء الذى عرض على عكرمة وأصحابه يوم اليرموك ، فكل

المفلحون ، والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رءوف رحيم[1]، هؤلاء هم أصحاب رسول الله أثنى الله تعالى عليهم وزكاهم فى كتابه العزيز المعجز إلى الأبد ، سواء من كان منهم من المهاجرين أم كان من الأنصار « للفقراء المهاجرين » ، « والذين تبوؤا الدار والإيمان » ، وفى سبيل الإسلام خرج المهاجرون من ديارهم وأموالهم .

فالدعوة الإسلامية ونشرها هى أملهم وحياتهم ، يهون فى سبيلها كل غال ونفيس « الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله » والأنصار « يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كانت بهم خصاصة » حتى قال فيهم ابن كثير : (وهذا المقام أعلى من حال الذين وصفهم الله تعالى بقوله تعالى « ويطعمون الطعام على حبه » الآية[1] .

وقوله تعالى « وآتى المال على حبه » الآية[2] . فإن هؤلاء تصدقوا وهم يحبون ما تصدقوا به وقد لا يكون لهم حاجة إليه ولا ضرورة ، وهؤلاء

= منهم يأمر بدفعه إلى صاحبه وهو جريح مثقل أحوج ما يكون إلى الماء فرده الآخر إلى الثالث فما وصل الماء إلى الثالث حتى ماتوا عن آخرهم ولم يشربه أحد منهم رضى الله عنهم وأرضاهم تفسير القرآن العظيم ٤/٣٣٨

(١) سورة الحشر الآيات ٨ ، ٩ ، ١٠

(٢) سورة الإنسان آية ٨

(٣) سورة البقرة آية ١٧٧ .

آثروا على أنفسهم مع خصاصتهم إلى ما أنفقوه ، ومن هذا تصدق الصديق رضى الله عنه بجميع ماله ...[1]) .

إن أصحاب رسول الله ﷺ من المهاجرين والأنصار تعاونوا على نصرة الإسلام ، ونشره للناس مهما كلفهم ذلك ، ومهما كانت أنواع التضحيات فلا شيء عندهم أغلى من رسول الله ﷺ وماجاء به قال عز وجل « والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقالهم مغفرة ورزق كريم[2] » .

هذا والآيات الكريمة فى شأن منزلة وفضائل صحابة رسول الله ﷺ جميعاً كثيرة . وعلى هذا فقد وجب على الخلف توقيرهم وتقديرهم ، ومعرفة فضائلهم ، والترضى والثناء عليهم جميعاً ، دون تفرقة . ولا ينتقص من قدرهم ولا من الرسالة التى قاموا بها خير قيام . ولهذا علمنا ربنا تبارك وتعالى أن نتأدب معهم ونقول فى حقهم كما قال تعالى « والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤف رحيم » وياللأسف الشديد انقلب بعض الناس على عقبيه ، وركبهم الشيطان ، وشط بهم العقل والهوى ... وانساقوا وراء أدعياء الانحلال ونكران الفضل والجميل ، ونعقوا وراء أعداء الاسلام ، ورددوا ما يقولونه من تقليل شأن صحابة الرسول ﷺ . والقاء الشبه المغرضة حول تاريخهم المشرق وفى الوقت ذاته نشط مفكروهم فى رفع مكانة علماء — وماهم بعلماء — كفرة وملاحدة وشيوعيين وعلمانيين وفسقه وزنادقة ، وكان هذا بمثابة خطوة على طريق التمزق والانحلال والهوان والتخلف وهذا هو المقصد لخصوم

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٤ /٣٣٨ .
(٢) سورة الأنفال الآية ٧٤ .

الاسلام . قال ابن كثير (وما أحسن ما استنبط الامام مالك رحمه الله من هذه الآية الكريمة أن الرافضى الذى يسب الصحابة ليس له فى مال الفيء نصيب لعدم اتصافه بما مدح الله به هؤلاء فى قولهم «ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالايمان» الآية (١)) .

وذكر أثراً عن السيدة عائشة رضى الله عنها وهى تبين مسلك انحراف من يتعرض لسب أصحاب رسول الله ﷺ فروى أنها قالت (أمروا أن يستغفروا لهم فسبوهم . ثم قرأت «والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالايمان(٢)») ، وكما سبق أن الآيات فى الذكر الحكيم كثيرة فى ثناء رب العزة على صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

بعض الأحاديث الشريفة :

وإذا كان رب العزة أثنى على صحابة رسول الله ﷺ ثناء جميلا ، وهم النخبة الممتازة الذين اختارهم الله تبارك وتعالى ليكونوا فى صحبة رسوله ﷺ ، واختار رسوله ﷺ من بينهم ، فإن رسول الله ﷺ قد أثنى عليهم كل خير ، وأوصى بهم بل وبأولادهم وأحفادهم كل خير لما رآه الرسول ﷺ منهم من إخلاص ووفاء وتضحية من أجل الاسلام ولقد وردت أحاديث كثيرة تبرز منزلة هؤلاء النجباء ...حتى أن كتب السنة أفردت كتبا وأبوابا خاصة بما ورد عن رسول الله ﷺ من بيان فضلهم سواء جملة أم تفصيلا فردا فردا .

١ — «فعن أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله ﷺ : يأتى على

(٢،١) تفسير القرآن العظيم ٤/٣٣٩ .

الناس زمان فيغزو فئام — جماعة — من الناس فيقولون : فيكم من صاحب رسول الله ﷺ ، فيقولون لهم : نعم ، فيفتح لهم ، ثم يأتي على الناس زمان فيغزو فئام من الناس فيقال : هل فيكم من صاحب أصحاب رسول الله ﷺ فيقولون : نعم ، فيفتح لهم ، ثم يأتي على الناس زمان فيغزو فئام من الناس ، فيقال : هل فيكم من صاحب من أصحاب أصحاب رسول الله ﷺ ، فيقولون : نعم ، فيفتح لهم [1] » .

٢ — « وعن عمران بن حصين رضي الله عنهما يقول : قال رسول الله ﷺ : خير أمتي قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ، قال : عمران : فلا أدري أذكر بعد قرنه قرنين أو ثلاثة ثم إن بعدكم قوماً يشهدون ولا يستشهدون ويخونون ولا يؤتمنون وينذرون ولا يفون ويظهر فيهم السمن [2] » .

٣ — « عن أبي بردة عن أبيه قال : صلينا المغرب مع رسول الله ﷺ ثم قلنا : لو جلسنا حتى نصلي معه العشاء قال : فجلسنا فخرج علينا فقال : ما زلتم ههنا ؟ قلنا نعم يا رسول الله صلينا معك المغرب ثم قلنا : نجلس حتى نصلي معك العشاء ، قال : أحسنتم أو أصبتم ، قال : فرفع رأسه إلى السماء ، وكان كثيراً مما يرفع رأسه إلى السماء ، فقال : النجوم أمنة السماء فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعدون ، وأنا أمنة لأصحابي فإذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون ، وأصحابي أمنة لأمتي فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون [3] » .

(١،٢) أخرجهما البخاري في كتاب : حديث الأنبياء . باب : فضائل أصحاب رسول الله ﷺ ٣،٢/٧ ، وأخرجهما مسلم في فضائل الصحابة ٨٣/١٦ ، ٨٤ .

(٣) أخرجه مسلم في فضل الصحابة رضي الله عنهم ٨٢/١٦

هؤلاء هم أصحاب رسول الله ﷺ الذين زكاهم رسول الله ﷺ وأثنى عليهم سواء أكانوا من المهاجرين أم من الأنصار من العرب أو من غير العرب من أهل البيت أم غير أهل البيت ... والأحاديث فى شأن علو مكانتهم ، وارتفاع منزلتهم كثيرة .

وإذا كانت الأحاديث السابقة — وغيرها — أثنت عليهم جملة دون ماتفرقه . فإن هناك أحاديث شريفة خصت كثيرا من الصحابة بخصوصيات خاصة بشخصه — ولا يسع المقام هنا لذكرها ، ولكن أذكر بعض ما يتعلق بسادتنا أبى بكر وعمر وعثمان رضى الله تعالى عنهم جميعاً وهؤلاء الشموخ هم الذين يتعرضون من كثير من فرق الشيعة للسب والطعن أكثر .

من فضائل أبى بكر الصديق رضى الله عنه:

إن فضائل أبى بكر رضى الله عنه كثيرة ومتعددة ، ولن نستطيع هنا سردها ولكن نشير إلى بعضها .

١ — وعن أنس عن أبى بكر رضى الله عنه قال: قلت للنبى ﷺ وأنا فى الغار: لو أن أحدهم نظر تحت قدميه لأبصرنا ، فقال : ماظنك يا أبا بكر بإثنين الله ثالثهما [1] ، وفى الحديث منقبة ظاهرة لسيدنا أبى بكر لاتخفى .

٢ — « وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال: خطب رسول الله ﷺ الناس وقال : إن الله خير عبدا بين الدنيا وبين ماعنده فأختار ذلك

---

(١) أخرجه البخارى فى حديث الأنبياء ، باب : مناقب المهاجرين وفضلهم منهم أبو بكر ح٧ ص٩

العبد ما عند الله ، فبكى أبو بكر . فعجبنا لبكائه أن يخبر رسول الله ﷺ عن عبد خير فكان رسول الله ﷺ هو المخير وكان أبو بكر أعلمنا فقال رسول الله ﷺ : إن من أمن الناس عليّ في صحبته وماله أبا بكر ، ولو كنت متخذا خليلا غير ربي لاتخذت أبا بكر خليلا ولكن أخوة الاسلام ومودته ، لا يبقين في المسجد باب إلا سد إلا باب أبي بكر[1] ومناقب أبا بكر في هذا الحديث كثيرة وواضحة .

٣ — « عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه قال : أتت امرأة إلى النبي ﷺ فأمرها أن ترجع إليه فقالت : أرأيت إن جئت ولم أجدك ، كأنها تقول الموت ، قال ﷺ : إن لم تجديني فأتي أبا بكر[2]، ومع ما في هذا الحديث من منقبة خاصة لأبي بكر الصديق ، إلا أن فيه إشارة إلى خلافة أبي بكر بعده ، قال ابن حجر (وفيه رد على الشيعة في زعمهم أنه - ﷺ - نص على استخلاف علي والعباس[3] .

٤ — « عن عمرو بن العاص رضي الله عنه أن النبي ﷺ بعثه على جيش ذات السلاسل ، فأتيته فقلت أي الناس أحب إليك؟ قال : عائشة فقلت : من الرجال فقال : أبوها ، قلت ثم من ؟ قال : ثم عمر بن الخطاب فعد رجالا »[4] ومنقبة أبو بكر ها هنا واضحة في ذكره أول الرجال الذين يحبهم رسول الله ﷺ ، وفي بعض الروايات أن من الذين أبهموا من الصحابة في قوله « ثم عد رجالا — أبا عبيدة بن الجراح وعلياً ابن أبي طالب رضي الله عنهما ، وذكر ابن حجر في رواية أخرجها (أحمد

(١ ، ٢) المصدر السابق ٩/٧ ، ١٥

(٣) فتح الباري ١٥/٧ .

(٤) أخرجه البخاري في حديث الأنبياء ، باب : قول النبي ﷺ : لو كنت متخذا خليلا ١٧/٧

وأبو داود والنسائي بسند صحيح عن النعمان بن بشير قال : استأذن أبو بكر على النبي ﷺ فسمع صوت عائشة عاليا وهي تقول : والله لقد علمت أن عليا أحب إليك من أبي الحديث، فيكون عليا ممن أبهمه عمرو بن العاص وهو وإن كان في الظاهر يعارض حديث عمرو، ولكن يرجح حديث عمرو وأنه من قول النبي ﷺ وهذا من تقريره، ويمكن الجمع باختلاف جهة المحبة فيكون في حق أبي بكر على عمومه بخلاف علي، ويصح حينئذ دخوله فيمن أبهمه عمرو ، ومعاذ الله أن نقول كما تقول الرافضة من إبهام عمرو فيما روى لما كان بينه وبين علي رضي الله عنهما ، فقد كان النعمان مع معاوية على علي ولم يمنعه ذلك من التحديث بمنقبة علي ، ولا إرتياب في أن عمرو أفضل من النعمان)[1] .

٥ — عن أبي هريرة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : من أنفق زوجين — صنفين — من شيء من الأشياء في سبيل الله دعي من أبواب يعني الجنة ، ياعبد الله هذا خير ، فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة ، ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد ، ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة ، ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الصيام ، وباب الريان . فقال أبو بكر ما على هذا الذي يدعى من تلك الأبواب من ضرورة ، وقال — أبو بكر — هل يدعى منها كلها أحد يارسول الله ؟ فقال : نعم ، وأرجو أن تكون منهم ياأبا بكر)[2] .

قال ابن حجر : (قال العلماء : الرجاء من الله ومن نبيه واقع ، وبهذا التقرير يدخل الحديث في فضائل أبي بكر)[3] .

---

(١) فتح الباري ٧ / ١٨

(٢) أخرجه البخاري في الكتاب والباب السابقين ١٩/٧

(٣) فتح الباري ٧ / ٢١

وقد ذكر ابن حجر رواية فيها هذه الخصوصية لأبي بكر فقال (وقع في حديث ابن عباس عند ابن حبان في نحو هـذا الحديث التصريح بالوقوع لأبي بكر ولفظه : قال : أجل وأنت هو ياأبا بكر)[١] .

٦ — «قال عمار بن ياسر : رأيت رسول الله ﷺ وما معه إلا خمسة أعبدوا مرأتان وأبو بكر»[٢] . وفي الحديث منقبة لسيدنا أبي بكر، وهي سبقه إلى الإسلام قال ابن حجر «أن أبا بكر أول من اسلم من الأحرار مطلقا»[٣] ، وبين ذلك في موضع آخر وقال «وقد اتفق الجمهور أن أبا بكر أول من اسلم من الرجال»[٤] ، ومن هنا سمي الصديق لسبقه لتصديق رسول الله ﷺ هذا والأحاديث النبوية بل والآيات القرآنية كثيرة في بيان فضل أبي بكر رضي الله عنه كثيرة ، وكلها تؤكد فضله ومنزلته بين صحابة رسول الله ﷺ ، بل تؤكد فضله ومنزلته على سائر جميع الصحابة رضوان عليهم جميعا ، ومن يقرأ سيرته في كتب التراجم والتاريخ الإسلامي يجد الكثير من فضائله رضي الله عنه من أجل كل هذا — وغيره كما سيأتي — اختاره جميع أصحاب رسول الله ﷺ من مهاجرين وأنصار ليكون خليفة رسول الله ﷺ . وقد تمت مبايعته في صورة مشرقة ، وتحقق فيها مبدأ الشورى في أروع مثال لها .. ومن أصحاب رسول الله ﷺ الذين بايعوه سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

---

(١) فتح الباري ٧/٢١

(٢) أخرجه البخاري في كتاب حديث الأنبياء ، باب: اسلام أبي بكر الصديق ٧ / ١٣٤

(٣) فتح الباري ٧ / ١٦

(٤) المرجع السابق ١٣٥/٧

شبهة مفرضة والرد عليها :

موقف على بن أبى طالب من بيعة الصديق .

اعتقدت فرق الشيعة، وذكر بعض المؤرخين تخلف على بن أبى طالب ومعه بنو هاشم عن مبايعة أبى بكر ، لأنهم رأوا أن عليا رأى أنه أحق بالخلافة من أبى بكر — وغيره — وعلى ذلك لم يبادر لمبايعة أبى بكر بالخلافة ، وظل مغاضبا له ، وذكروا لذلك روايات ، وأثبتها بعض المؤرخين ، فالتقمها المستشرقون وزادوا عليها أوهاما كثيرة ، بقصد التشكيك فى التاريخ الإسلامى المشرق ، وبخاصة فى هذه الفترة التاريخية العظمة والتى يتباهى بها المسلمون ، وأيضا لثيروا بين المسلمين بذور الشقاق والتمزق ، والتعمية على مبدأ الشورى فى الإسلام ، وضياع معالمها حتى فى هذه الفترة وكل هذا ليس له سند صحيح .

ونستطيع أن نرد على هذا بما يلى :

١ — تذكر روايات كثيرة أن على بن أبى طالب بايع كغيره من المهاجرين والأنصار ولم يتخلف كما زعموا ، فقد جاء فى تاريخ الطبرى «أن سعيد بن زيد سئل : أشهدت وفاة رسول الله ﷺ ؟ قال: نعم ، قيل فتى بويع أبو بكر ؟ قال : يوم مات رسول الله ﷺ ، كرهوا أن يبقوا بعض يوم وليسوا فى جماعة قيل : أخالف عليه أحد؟ قال : لا ، إلا مرتد أو من قد كاد أن يرتد ، لولا أن الله عز وجل تنقذهم من الأنصار، قيل: فهل قعد أحد من المهاجرين ؟ قال : لا ، تتابع المهاجرون على بيعته من غير أن يدعوهم »[1] فهذه الرواية :

---

(١) ٣/٢٠٧ دار المعارف ، وانظر : الكامل فى التاريخ لإبن الأثير ٢/٢٢٤

(أ) ذكرها الطبرى فى تاريخه وهو كمؤرخ له ثقله ، وتاريخه له وزنه .

(ب) أن هذه الرواية مروية عن سعيد بن زيد، وهو — كما هو معلوم — من العشرة المبشرين بالجنة ، وممن توفى عنهم رسول الله ﷺ وهو عنهم راض .

(ح) هذه الرواية فيها سؤال خاص عن بيعة المهاجرين ، وأنه لم يتخلف عنها أحد ، ولم تذكر تخلف على رضى الله عنه .

(د) لماذا لم يأخذ بهذه الرواية الشيعة ، والمستشرقون ولماذا أهملت؟ وأخذوا بالروايات التى تظهر عليا بالذات أنه أبى المبايعة لأبى بكر ، وأراد أن يشق عصا الجماعة !!

وجاء فى تاريخ الطبرى أيضا وفى الموضع نفسه رواية أكثر وضوحا وهى أن على بن أبى طالب كان فى بيته إذ جاءه من أنباه أن أبا بكر قد جلس للبيعة ، فخرج فى قميص له ما عليه إزار ولا رداء عجلا كراهية أن يبطىء عنها حتى بايعه ، ثم جلس إليه ، وبعث إلى ثوبه فأتاه فتحلله ولزم مجلسه .

فهذه الرواية تؤكد أن على بن أبى طالب لم يتخلف عن مبايعة أبى بكر لحظة واحدة ، فلماذا لم تأخذ الشيعة ومن وراءهم بها هى الأخرى . والمؤرخون الشرفاء الذين يبحثون عن الحقيقة قالوا بهذا ، وإن كان لهم تحفظ فى سرعة وعجلة على بن أبى طالب للبيعة بهذه الهيئة ، لأن عليا رضى الله عنه لم يكن من صفاته هذا التصرف المسرف فى العجلة ، لقد كان الرجل فى غاية الشجاعة ، وقة الإعتدال ، وله آراء صائبة ، ثم إنه فى هذا الوقت كان مشغلا بمصيبة جلت عن العزاء وهى موت ابن عمه ومربية

ووالد زوجته ، ورسول الله وهادى الأمة ، ولم يكن له من الوقت المتسع — وما زال جسد رسول الله — ﷺ — فى البيت — لهذه السرعة والعجلة ، فالرجل كان أكبر وأجل من هذه الخفة ، والرجل كان عالما فقيها و بطلا من أبطال الإسلام المعدودين المشهورين[١] .

فبايع الرجل كما بايع كل الناس وهو فى منتهى الإعتدال ،وسيدنا على بن أبى طالب تربى فى بيت النبوة ، وتتلمذ على خير معلم على وجه الإطلاق وسمع ما يقوله رسول الله ﷺ فى أبى بكر ، وكان يرى لأبى بكر من فضل ومنزلة عند الله وعند رسوله ، لما بذله فى سبيل النبى والدعوة الإسلامية ، فكان الرجل يعرف قدر أبى بكر ، وأحقيته بالخلافة دون منازع ، وعلى ابن أبى طالب سمع من رسول الله ﷺ وهو يقول «مروا أبا بكر فيلصل بالناس » سمع هذا ، ورأى أبا بكر يصلى بالناس إماما فى حياة النبى ﷺ » فتأكد الرجل من مكانة أبى بكر ورسول الله ﷺ حيا فى الدنيا ، فقد جاء فى صحيح البخارى « عن أبى موسى قال : مرض النبى ﷺ فاشتد مرضه فقال : مروا أبا بكر فليصل بالناس .

قالت عائشة : إنه رجل رقيق إذا قام مقامك لم يستطع أن يصلى بالناس . قال : مروا أبا بكر فليصل بالناس . فعادت . فقال : مرى أبا بكر فليصل بالناس فإنكن صواحب يوسف ، فأتاه الرسول فصلى بالناس فى حياة النبى ﷺ »[٢] ، ولقد قال الصحابة فى هذا : أفيرضاه

---

(١) انظر : ترجمة على بن أبى طالب البداية والنهاية لإبن كثير ٤/٤٣٥، وعبقرية الإمام على كرم الله وجهه للعقاد .

(٢) أخرجه البخارى فى كتاب : الآذان ، باب : أهل العلم والفضل أحق بالإمامة ٢/١٢٠

رسول الله ﷺ لديننا ولا نرضاه لدنيانا[1] ، فكيف يسمع هذا وراءه ويمتنع عن مبايعة الصديق ؟ !

إن فى صحيح البخارى وهو مرجع تتضاءل بجانبه كل المراجع أن على ابن أبى طالب رجل يعرف ويدرك قدر الرجال ، وبخاصة قدر أبى بكر رضى الله عنه « فعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : إنى لواقف فى قوم يدعون الله لعمر بن الخطاب — حين طعن — وقد وضع على سريره إذا رجل من خلفى قد وضع مرفقه على منكبى يقول : يرحمك الله إن كنت لأرجو أن يجعلك الله مع صاحبيك لأنى كثيرا ما كنت أسمع النبى ﷺ يقول : كنت وأبو بكر وعمر ، وفعلت وأبو بكر وعمر ، وانطلقت وأبو بكر وعمر ، فإن كنت لأرجو أن يجعلك الله معهما ، فالتفت فإذا هو على بن أبى طالب »[2].

وعلى رضى الله يشهد شهادة صدق لكل من أبى بكر وعمر رضى الله تعالى عنهم جميعا ، ولا يمكن أن تكون هذه الشهادة تقية كما تقول الشيعة ، فقد قال على الحق وأبو بكر قد مات منذ سنوات ، وعمر ميت وموضوع على السرير ، فتقية من من إذن ياغلاة الشيعة .

وقد ذكر ابن حجر روايات أخرى وكلها تؤكد ما ذهب المسلمون إليه من تقدير سيدنا على لسيدنا أبى بكر الصديق رضى الله عنهما ، وقد مات الصديق ، وكان فى الإمكان أن يظهر ما كان يبطن كما تدعى الشيعة وخصوم الإسلام ، وعلى بن أبى طالب كان أشجع وأنبل وأورع مما تتقول به الشيعة ، لقد كان فارس الفرسان (فعن محمد بن على قلت

---

(١) المشهور أن قائل هـــذا على بن أبى طالب ، انظر : الطبقات الكبرى لابن سعد ١٢٠/٣

(٢) أخرجه البخارى فى حديث الأنبياء بعد باب : قول النبى ﷺ : لو كنت متخذا خليلا ٣٢/٧٠٠

لأبى ، يا أبى من خير الناس بعد رسول الله ﷺ ؟ قال . أو ماتعلم يابنى !!
قلت : لا ، قال : أبو بكر ، وفى رواية الحسن بن محمد بن الحنفية عن أبيه
— على — قال : سبحان الله يابنى أبو بكر)[1] .

ويلاحظ هنا أن هذا وارد عن آل البيت رضى الله عنهم ، وأن هذا كان من على لولده وهما على إنفراد ، ولو كان كما تقول الشيعة ، لقال له خلاف ذلك ، وثالثا أن على بن أبى طالب تعجب من ولده إذا كيف لا يعرف هذا الأمر وهو مشهور ومعروف .

وأقول عن مغاضبة على لأبى بكر رضى الله تعالى عنهما على حسب زعم الشيعة ، منذ متى حدثت هذه المغاضبة بين الرجلين الصالحين . . ونرد على هذا بثلاثة أمور فقط وفيها الكفاية .

١ — إن أبا بكر عندما تولى الخلافة امتنع البعض عن إيتاء الزكاة ، وارتد البعض الآخر ، وأرادوا الهجوم على عاصمة الخلافة — المدينة المنورة — فلم يجد أبو بكر من الشجعان الأفذاذ للدفاع عنها إلا طلحة والزبير وابن مسعود ، وفى مقدمتهم على بن أبى طالب رضى الله عنهم أجمعين[2] ، وهذا كان بعد تولية أبى بكر الخلافة مباشرة ، فمنذ متى إذن غاضب على بن أبى طالب أبا بكر الخليفة على الخلافة .

٢ — عندما خرج أبو بكر بنفسه إلى وادى القَصَّة خرج معه على ابن أبى طالب ، ولنترك ابن كثير يذكر هذا وهو من هو من العلماء الأجلاء المحققين والمؤرخ الثبت والمفسر المتقن يقول (بعد ماجم جيش أسامة واستراحوا ، ركب الصديق .. فى الجيوش الإسلامية شاهرا سيفه مسلولا من المدينة إلى ذى القصة — وهى من المدينة على مرحلة — وعلى

---

(١) فتح البارى ٧/٢٥ .

(٢) البداية والنهاية ٣/٨٥٩ ، ٨٦٠

ابن أبي طالب يقود راحلة الصديق رضى الله عنهما ... فسأله الصحابة منهم علي بن أبي طالب والحوا عليه أن يرجع إلى المدينة ، وأن يبعث لقتال الأعراب غيره ممن يؤمره من الشجعان الأبطال، فأجابه إلى ذلك)[1] أي إستجاب أبو بكر لعلي وكان ذلك من علي حرصا على أبي بكر ، ويلاحظ الأدب والإحترام والتوقير بين صحابة رسول الله .

وفي رواية أصرح من السابقة تقول (لما برز أبو بكر إلى ذي القصة واستوى على راحلته ، أخذ علي بن أبي طالب بزمامها وقال : إلى أين ياخليفة رسول الله ؟ أقول لك ما قال رسول الله ﷺ يوم أحد . . لم سيفك ، ولا تفجعنا بنفسك ، وارجع إلى المدينة ، فوالله لئن فجعنا بك لا يكون للإسلام نظام أبدا فرجع)[2] وهناك رواية ثالثة عن السيدة عائشة تؤكد هذا أيضا .

فعلي يعرف مكانة الرجل بينهم ، وقلبه وعينه على صاحب رسول الله ﷺ ، ويخشى عليه من الأعداء ، فهل بعد هذا المسلك الرفيع الشريف يكون عليا مغاضبا لأبي بكر .

٣ — ورد في صحيح البخاري ما يؤكد منذ اللحظة الأولى لخلافة أبي بكر مدى عمق المحبة التي كانت بين الرجلين الكريمين، وعمق علاقتهما وارتباطهما ببعض ، بل ودلالها على بعض ، وهذا هو اللائق بمثل هؤلاء الرجال ، فعن عقبة بن الحارث قال : صلى أبو بكر رضى الله عنه العصر ثم خرج يمشي ، فرأى الحسن — ابن الإمام علي — يلعب مع الصبيان فحمله على عاتقه وقال : بأبي شبيه بالنبي لا شبيه بعلي ، وعلي يضحك »[3]

---

(١) ، (٢) المرجع السابق ٣/٨٥٩، ٨٦٠

(٣) أخرجه البخاري في كتاب : أحاديث الأنبياء: باب صفة النبي ﷺ ٦/ ٤٤٠

وعند شرح ابن حجر لهذا الحديث أورد أن هذا حدث (بعد وفاة النبي ﷺ بليال وعلى يمشى إلى جانبه)[1] .

فمتى حدث الجفاء بين الرجلين وكل منهما حريص على ملازمة الآخر واحترام وتوقير الآخر ، وحب كل منهما لأبناء الآخر .

إن الأدلة كثيرة جدا على رد قول الشيعة أن على بن أبى طالب لم يبايع أو بايع تقيه — كذبوا — أو ظل مغاضبا لأبى بكر الصديق ومن يقرأ سيرتهما يجد الكثير منها ، فرضى الله تعالى عنهما وعن جميع إخوانهم ويتعلق بهذا أمر آخر وهو مغاضبة على لأبى بكر بسبب الخلافة وكذلك بسبب ماطلبته السيدة فاطمة من أبى بكر ميراث رسول الله — ﷺ — وللعلماء فى هذا تأويل يليق بمقام أبى بكر والسيدة فاطمة — رضوان الله عليها — لكن الشيعة والمغرضون خلطوا بين الأمرين ، والحقيقة أن هذه مسألة وهذه مسألة أخرى ، ولا علاقة لها بمسألة مبايعة على — رضى الله عنه — ولا ننسى أن أبا بكر كان له مجلس شورى من خاصة الصحابة وكان يستبقيهم عنده للنظر فى شئون المسلمين ، والجهاد والدعوة الخ وكان على بن أبى طالب أحد مستشاريه ، والتاريخ يسجل بحروف من نور آراء على بن أبى طالب الصائبة فى خلافة الصديق ومن جاء بعده وهو سيدنا عمر بن الخطاب — رضى الله عنه — فهل بعد هذا يسب أبو بكر الصديق .. لعلهم يراجعون أنفسهم عن هذا الفحش .

---

(١) فتح البارى ٦/٤٤٠

من مناقب عمر بن الخطاب

عمر بن الخطاب أمير المؤمنين بعد أبو بكر الصديق ، وقد خصصت له كتب السنة أبوابا لمناقبه ومنزلته ، وأذكر بعضها من صحيح البخارى .

١ — «عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال : قال النبى ﷺ : رأيتنى دخلت فإذا أنا بالرُّمَيْصاء إمرأة أبى طلحة ، وسمعت خَشَفَةَ — ما يسمع من حس وقع القدم — فقلت : من هذا ؟ فقال : بلال ، ورأيت قصرا بفنائه جارية . فقلت : لمن هذا ؟ فقال : لعمر . فأردت أن أدخله فأنظر إليه ، فذكرت غَيرَتَكَ ، فقال عمر : بأبى وأمى يارسول الله أعليك أغار »[1] . وفى الحديث فضيلة ظاهرة لعمر بن الخطاب .

٢ — «عن حمزة عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال : بينا أنا نائم شربت يعنى اللبن حتى انظر إلى الرى يجرى فى ظُفرى أو فى أظفارى ، ثم ناولت عمر ، فقالوا : فما أولته ؟ قال : العلم »[2] قال ابن حجر (والمراد بالعلم هنا . العلم بسياسة الناس بكتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واختص عمر بذلك لطول مدته بالنسبة إلى أبى بكر ، وباتفاق الناس على طاعته بالنسبه إلى عثمان ..)[3] ، وفى الحديث فضيلة أخرى ظاهرة لسيدنا عمر .

٣ — «عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن النبى ﷺ قال :

---

(١) أخرجه البخارى فى حديث الأنبياء ، باب : مناقب عمر بن الخطاب ٣٣/٧

(٢) أخرجه البخارى فى الكتاب والباب السابقين ٣٤/٧

(٣) فتح البارى ٣٥/٧

أريت في المنام أني أنزع بدلو بكرة على قليب . فجاء أبو بكر فنزع ذنوباً أو ذنوبين نزعاً ضعيفاً ، والله يغفر له ، ثم جاء عمر فاستحالت غرباً فلم أر عبقرياً يفري فريه حتى روى الناس وضربوا بعطن . قال ابن جبير . العبقري عتاق الزرابي وقال يحيى : الزرابي الطنافس لها حمل رقيق « مبثوثة كثيرة [1]» .

وتوضيح معنى كلمة عبقري التي وصف بها رسول الله ﷺ عمر يتأكد لنا منزلة ومكانة سيدنا عمر من هذا الحديث :

قال ابن حجر (الزرابي : جمع زربية وهي البساط العريض الفاخر قال في المشارق العبقري النافذ الماضي الذي لا شيء يفوقه ، قال أبو عمر : وعبقري القوم سيدهم وقيمهم وكبيرهم . وقال الفراء : العبقري السيد ، والفاخر من الحيوان والجوهر والبساط المنقوش ، وقيل : منسوب إلى عبقر موضع بالبادية ، وقيل : قرية يعمل فيها الثياب البالغة الحسن والبسط . وقيل : نسبة إلى أرض تسكنها الجن تضرب بها العرب المثل في كل شيء عظيم قاله أبو عبيدة ، قال ابن الأثير : فصاروا كلما رأوا شيئاً غريباً مما يصعب عمله ويدق ، أو شيئاً عظيماً في نفسه نسبوه إليها فقالوا عبقري ، ثم اتسع فيه حتى سمي به السيد الكبير) [2] .

٤ — « وعن سعد بن أبي وقاص قال : استأذن عمر على رسول الله ﷺ وعنده نسوة من قريش يكلمنه ويستكثرنه عالية أصواتهن ، فلما استأذن عمر قمن فبادرن الحجاب . فأذن له رسول الله ﷺ ، فدخل عمر ورسول الله ﷺ يضحك ، فقال عمر : أضحك الله سنك يا رسول الله « فقال النبي ﷺ عجبت من هؤلاء اللاتي كن عندي فلما سمعن صوتك

---

(١) أخرجه البخاري في الكتاب والباب السابقين ٧/٣٥

(٢) فتح الباري ٧/٣٥

ابتدرن الحجاب . فقال عمر : فأنت أحق أن يهبن يا رسول الله ، ثم قال عمر : يا عدوات أنفسهن أتهبنني ولا تهبن رسول الله ﷺ فقلن : نعم أنت أفظ وأغلظ من رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ : إيها يا ابن الخطاب والذى نفسى بيده ما لقيك الشيطان سالكا فجا قط إلا سلك فجا غير فجك » [١] قال ابن حجر (فيه - الحديث فضيلة عظيمة لعمر ... ودال على صلابته فى الدين، واستمرار حاله على الجد الصرف، والحق المحض [٢] أما قول النسوة له « أنت أفظ وأغلظ، فليس هذا تنقيصاً من شأن سيدنا عمر بدلالة كلام النبي ﷺ له فى الحديث نفسه، وقال ابن حجر (وكان عمر يبالغ فى الزجر عن المكروهات مطلقاً وطلب المندوبات فلهذا قال النسوة له ذلك) [٣] .

٥ — « عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : لقد كان فيما قبلكم من الأمم محدثون فإن يك فى أمتى أحد فإنه عمر » [٤] وعند شرح ابن الحجر للحديث بين معنى محدَّثون ، وهى تعنى عدة معانى كلها تؤكد صلة عمر بخالقه عز وجل فذكر أنها تعنى : الملهم . . والرجل الصادق الظن وهو من ألقى فى روعه شيء من قبل الملأ الأعلى فيكون كالذى حدثه غيره به .. وتعنى الإصابة بغير نبوة ، ويؤيده حديث « إن الله جعل الحق على لسان عمر [٥] » وقال ابن حجر كذلك (والسبب فى تخصيص عمر بالذكر لكثرة ماوقع له فى زمن النبي ﷺ ومن الموافقات التى

---

(١) أخرجه البخارى فى . حديث الأنبياء ، باب : مناقب عمر ٣٦٦/٧

(٢) ، (٣) فتح البارى ٣٧/٧ ، ٣٦

(٤) أخرجه البخارى فى الكتاب والباب السابقين ٣٩/٧

(٥) فتح البارى ٣٩/٧

نزل القرآن مطابقا لها ، ووقع له بعد النبى — ﷺ — عدة إصابات)[1].

ولقد كان لسيدنا عمر موافقات كثيرة نزل الذكر الحكيم مطابقا لها من ذلك ماذكره البخارى فى صحيحه ، عن أنس قال : قال عمر : وافقت ربى فى ثلاث ، فقلت : يارسول الله لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلى فنزلت «واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى»[2]، وآية الحجاب قلت: يارسول الله لو أمرت نساءك أن يحتجبن ، فإنه يكلمهن البر والفاجر ، فنزلت آية الحجاب[3] ، واجتمع نساء النبى — ﷺ — فى الغيرة عليه ، فقلت لهن «عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن ، فنزلت هـــذه الآية»[4] ، [5] ، قال صاحب الفتح (والمعنى وافقنى ربى فأنزل القرآن على وفق مارأيت ، لكن لرعاية الأدب أسند الموافقة إلى نفسه أو أشار به إلى حدث رأيه وقدم الحكم ، وليس فى تخصيصه العدد بالثلاث ماينفى الزيادة عليها ، لأنه — رضى الله عنه — حصلت له الموافقات فى أشياء غير هذه ، من مشهورها قصة أسارى بدر وقصة الصلاة على المنافقين وهما فى الصحيح .

وصحح الترمذى من حديث ابن عمر أنه قال : مانزل بالناس أمر قط فقالوا فيه وقال عمر إلا نزل القرآن فيه على نحو ماقال عمر ، وهذا دال على كثرة موافقته ، وأكثر ماوقفنا منها بالتعيين على خمسة عشر ، لكن

---

(١) المرجع السابق ٤١/٧

(٢) سورة البقرة الآية : ١٢٥

(٣) سورة الأحزاب الآية : ٥٣

(٤) سورة التحريم الآية : ٥

(٥) أخرجه البخارى فى كتاب : الصلاة ، باب : ماجاء فى القبلة ٤٠١/١

ذلك بحسب المنقول)(١)، وقد ذكر ابن كثير(أن عمر وجه جيشا ورأس عليهم رجلا يقال له : سارية بن زنيم ، فبينما عمر يخطب ، فجعل ينادى ياسارية الجبل ثلاثا ، ثم قدم رسول الجيش ، فسأله عمر ، فقال : ياأمير المؤمنين ، هزمنا ، فبينما نحن كذلك إذ سمعنا مناديا : ياسارية الجبل ثلاثا فأسندنا ظهورنا بالجبل ، فهزمهم الله ، قال : فقيل لعمر : إنك كنت تصيح بذلك)(٢).

وهذه من خصائص عمر التى ترفع من شأنه وقـــدره ومناقبه والأحاديث فى مناقب سيدنا عمر كثيرة، وقام الرجل أثناء إمرته للمسلمين بأعمال جليلة من فتوحات وجهاد ، وأوليات كثيرة لصالح الإسلام والمسلمين ، ورعى أهل الذمة، وقام بالعدل بين الرعية ، وسار فيهم سيرة طيبة ، وأصبح مثالا يحتذى لتنفيذ أحكام الشريعة الإسلامية ، وأمن الناس ، حتى أن العلماء والفقهاء عندما يرون ظلم بعض الحكام أو الأمراء فإنهم يأخذون بذكر سيرة عمر ويذكرون الناس بعدله ، وكان بعض حكام بنى مروان فى الدولة الأموية ينهون العلماء والدعاة عن الكف عن ذكر سيرة عمر .

بقى نقطة فى غاية الأهمية — هنا — وهى مسألة استشهاد عمر واستخلافه أميرا للمؤمنين بعده ، ولانجد من يعبر عن هذا وغيره أصدق مما أورده الإمام البخارى — رحمه الله — فذكر بسنده « عن عمرو بن ميمون قال : رأيت عمر بن الخطاب — رضى الله عنه — قبل أن يصاب بالمدينة ، وقف على حذيفة بن اليمان وعثمان بن حنيف قال : كيف فعلتما

---

(١) فتح البارى لإبن حجر ٤٥١/١

(٢) البداية والنهاية ١٧٣/٤

أتخافان أن تكونا قد حملتما الأرض مالا تطيق[1] قالا: حملناها أمرا هي له مطيقة مافيها كبير فضل ، قال: أنظرا أن تكونا حملتما الأرض مالا تطيق ، قال: قالا : لا ، فقال عمر : لإن سلمني الله لأدَعن أرامل أهل العراق لا يحتجن إلى رجل بعدي أبداً ، قال : فما أتت عليه إلا رابعة حتى أصيب ، قال : إني لقائم مابيني وبينه إلا عبد الله بن عباس غداة أصيب وكان إذا مر بين الصفين قال : استووا ، حتى إذا لم يرفيهن خللا تقدم فكبر ، وربما قرأ بسورة يوسف أو النحل أو نحو ذلك في الركعة الأولى حتى يجتمع الناس ، فما هو إلا أن كبر ، فسمعته يقول : قتلني أو أكلني الكلب حين طعنه ، فطار العلج[2] بسكين ذات طرفين ، لا يمر على أحد يمينا ولا شمالا إلا طعنه حتى طعن ثلاثة عشر رجلا مات منهم سبعة ، فلما رأى ذلك رجل من المسلمين طرح عليه برنسا، فلما ظن العلج أنه مأخوذ نحر نفسه ، وتناول عمر يد عبد الرحمن بن عوف فقدمه ، فمن يلي عمر فقد رأى الذي أرى ، وأما نواحي المسجد فإنهم لا يدرون ، غير أنهم قد فقدوا صوت عمر ، وهم يقولون : سبحان الله ، سبحان الله ، فصلى بهم عبد الرحمن صلاة خفيفة ، فلما انصرفوا قال : يا ابن عباس : أنظر من قتلني فجال ساعة ثم جاء فقال : غلام المغيرة ، قال الصنَع ؟ قال : نعم قال : قاتله الله لقد أمرت به معروفا، الحمد لله الذي لم يجعل ميتتي بيد رجل

---

(١) كانا قد بعثهما عمر إلى أرض السواد ، يضربان عليها الخراج وعلى أهلها الجزية .

(٢) العلج : الرجل القوي الضخم من كفار العجم أنظر: لسان العرب ٣٠٦٥/٤ ، والمقصود به هنا هو أبو لؤلؤ المجوسي ، واسمه فيروز . ويلاحظ كيد المجوس للإسلام والمسلمين .

يدعى الإسلام ، قدكنت وأبوك تحبان أن تكثر العلوج بالمدينة ، وكان العباس أكثرهم رقيقاً . فقال : إن شئت فعلت . أى إن شئت قتلنا . فقال كذبت بعد ما تكلموا بلسانكم ، وصلوا قبلتكم ، وحجوا حجكم . فاحتمل إلى بيته ، فانطلقنا معه ، وكأن الناس لم تصبهم مصيبة قبل يومئذ . فقائل يقول : لا بأس . وقائل يقول . أخاف عليه . فأتى بنبيذ فشربه[1] فخرج من جوفه ، ثم أتى بلبن فشرب فخرج من جوفه . فعرفوا أنه ميت ، فدخلنا عليه . وجاء الناس يثنون عليه . وجاء رجل شاب فقال : أبشر يا أمير المؤمنين ببشرى الك من صحبة رسول الله ﷺ ، وقدم فى الإسلام ما قد علمت ، ثم وليت فعدلت ، ثم شهادة . قال : وددت أن ذلك كفاف لا على ولا لى . فلما أدبر إذا أزاره يمس الأرض . قال : ردوا على الغلام . قال : يا ابن أخى ارفع ثوبك ، فإنه أنقى لثوبك ، وأتقى لربك . يا عبدالله ابن عمر . انظر ما على من الدين ، فحسبوه فوجدوه ستة وثمانين ألفا أو نحوه قال : إن وفى له مال آل عمر فأده من أموالهم ، وإلا فسل فى بنى عدى بن كعب . فإن لم تف أموالهم فسل فى قريش ، ولا تعدهم إلى غيرهم فأدعنى هذا المال . انطلق إلى عائشة أم المؤمنين فقل . يقرأ عليك عمر السلام ، ولا تقل أمير المؤمنين . فإنى لست اليوم للمؤمنين أميرا ، وقل : يستأذن عمر بن الخطاب أن يدفن مع صاحبيه ، فسلم واستأذن ، ثم دخل عليها ، فوجدها قاعدة تبكى ، فقال . يقرأ عليك عمر بن الخطاب السلام ويستأذن أن يدفن مع صاحبيه ، فقال : كنت أريده لنفسى ، ولأوثرنه به اليوم على نفسى . فلما أقبل قيل : هذا عبد الله بن عمر قد جاء . قال ارفعونى ، فاسنده رجل إليه . فقال : ما لديك ؟ قال : الذى تحب يا أمير المؤمنين أذنت . قال : الحمدلله ، ما كان من شىء أهم إلى من ذلك . فإذا أنا قضيت فاحملونى

---

(١) المراد بالنبيذ المذكور : تمرات نبذت فى ماء أى نقعت فيه انظر : فتح البارى لابن حجر ٦/٥١

ثم سلم، فقل: يستأذن عمر بن الخطاب، فإن أذنت لى فأدخلونى، وإن ردتنى ردونى إلى مقابر المسلمين، وجاءت أم المؤمنين حفصة والنساء معها، فلما رأيناها قمنا. فولجت عليه، فبكت عنده ساعة، واستأذن الرجال فولجت داخلالهم، فسمعنا بكاءها من الداخل. فقالوا: أوص يا أمير المؤمنين استخلف، قال: ما أجد أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر أو الرهط الذين توفى رسول الله ﷺ وهو عنهم راضى. فسمى عليا وعثمان والزبير وسعدا وعبد الرحمن بن الرحمن. وقال: يشهدكم عبد الله ابن عمر، وليس له فى الأمر شىء كهيئة التعزية له، فإن أصابت الإمرة سعدا فهو ذاك، وإلا فليستعن به أيكم ماأمر، فإنى لم أعزله عن عجز ولا خيانة. وقال: أوصى الخليفة من بعدى بالمهاجرين الأولين أن يعرف لهم حقهم، ويحفظ لهم حرمتهم. وأوصيه بالأنصار خيرا، الذين تبوؤا الدار والإيمان من قبلهم، أن يقبل من محسنهم، وأن يعفى عن مسيئهم. وأوصيه بأهل الأمصار خيرا، فإنهم رده[1] الإسلام، وجباة المال، وغيظ العدو. وأن لا يؤخذ منهم إلا فضلهم عن رضاهم، وأوصيه بالأعراب خيراً فإنهم أصل العرب، ومادة الإسلام. أن يؤخذ من حواشى أموالهم، ويرد على فقرائهم. وأوصيه بذمة الله وذمة رسوله ﷺ أن يوفى لهم بعهدهم. وأن يقاتل من ورائهم، ولا يكلفوا إلا طاقتهم فلما قبض خرجنا به فانطلقنا نمشى فسلم عبد الله بن عمر قال: يستأذن عمر بن الخطاب، قالت: أدخلوه، فأدخل، فوضع هنالك مع صاحبيه فلما فرغ من دفنه اجتمع هؤلاء الرهط، فقال عبد الرحمن بن عوف: اجعلوا أمركم إلى ثلاثة منكم، فقال الزبير: قد جعلت أمرى إلى على، فقال طلحة: قد جعلت أمرى إلى عثمان، وقال سعد: قد جعلت أمرى

---

(١) أى عون الإسلام الذى يدفع عنه، وغيظ العدو أى يغيظون العد وبكثرتهم وقوتهم انظر فتح البارى ٥٥/٧

إلى عبد الرحمن بن عوف ، فقال عبد الرحمن ابن عوف : أيكما تبرأ من هذا الأمر فنجعله إليه والله عليه وكذا الإسلام ، لينظرن أفضلهم فى نفسه فأسكت الشيخان — على وعثمان — فقال عبد الرحمن بن عوف : أفتجعلونه إلى ، والله على أن لا آلو عن أفضلكم . قالا — على وعثمان — نعم . فأخذ بيد أحدهما فقال : لك قرابة من رسول الله ﷺ والقدم فى الإسلام ما قد علمت ، فالله عليك لئن أمرتك لتعدلن ، ولئن أمرت عثمان لتسمعن ولتطيعن . ثم خلا بالآخر فقال له مثل ذلك . فلما أخذ الميثاق قال : ارفع يدك يا عثمان فبايعه فبايع له على . وولج أهل الدار فبايعوه»[1] .

وهذا الحديث وإن كان فيه فوائد جمة ، ومناقب متعددة لسيدنا عمر — رضى الله عنه وجزاه الله تعالى عن الإسلام والمسلمين خيرا — إلا أنه يؤكد :

- قمة السمو والترفع بين صحابة رسول الله ﷺ فى طريقة اختيارهم الخليفة بعد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب .

- تحقق مبدأ الشورى فى أبهى صوره ، ومبدأ الشورى أساس من أسس اختيار الحاكم فى الإسلام .

- لم يذكر — فى أهل الشورى — سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل ، لكونه من قبيلته وابن عمه ، خشية أن يراعى فى الإمارة بسببه ، وهذا من ورعه مع أن سعيد بن زيد أحد العشرة المبشرين بالجنة . ولو كان عمر طامعا فى الخلافة لجعلها فى ابن عمه سعيد أو فى ولده عبد الله من بعده ،

---

(١) أخرجه البخارى فى حديث الأنبياء . باب : قصة البيعة والإتفاق على عثمان ابن عفان رضى الله عنه ٤٨/٧ وما بعدها ، ويلاحظ أن البخارى عنون الباب بقوله : والإتفاق على عثمان

لكنه قال لأهل الشورى يحضركم عبد الله — يعنى ابنه — وليس إليه من الأمر شىء[1] .

• لقد رثى سيدنا عمر القاصى والدانى ، الرجال والنساء . ومما روى فى رثائه — بخلاف ما سبق — أن على بن أبى طالب سمع ابنة أبى خشمة تقول فى رثائها لعمر بعد استشهاده : واعمراه : أقام الأود ، وأبرأ العمد ، أمات الفتنه ، وأحيا السنة ، خرج نقى الثوب ، بريئا من العيب ، فقال على ابن أبى طالب : والله لقد صدقت ، ذهب بخيرها ، ونجا من شرها[2] .

• والمهم تأكيده هنا : بعد أن وقع الإختيار على سيدنا عثمان بن عفان ليكون خليفة للمسلمين بعد سيدنا عمر ، كان سيدنا على بن أبى طالب أول من بايعه من المسلمين .

وهذا هو الإعتقاد الواجب واللائق بأصحاب رسول الله ﷺ الأجلاء ، ولا يخرج عن هذا سيدنا على بن أبى طالب كرم الله وجهه ، وهذا خلاف ما تتوهمه الشيعة ، ويأخذون بالروايات الضعيفة ، أو التى وضعوها ، لتبرير معتقداتهم وأفكارهم ، للنيل من صحابة رسول الله ﷺ والطعن فى تصرفاتهم وأخلاقهم وسبهم .

من مناقب عثمان بن عثمان .

تمت مبايعة سيدنا عثمان أميرا للمؤمنين بعد سيدنا عمر رضى الله عنهما بإتفاق جميع أصحاب رسول الله ﷺ — كما سبق — ، وكان ذلك لمنزلته ومناقبه الكثيرة اذكر بعضها :

١ — وعن عائشة رضى الله عنها قالت : كان رسول الله ﷺ مضطجعا

(٢،١) انظر : البداية والنهاية لإبن كثير ١٨٢/٤ ، ١٨٥

فى بيتى كاشفا عن فخذيه أو ساقيه فأستأذن أبو بكر فأذن له وهو على تلك الحال فتحدث ، ثم استأذن عمر فأذن له وهو كذلك فتحدث ، ثم استأذن عثمان فجلس رسول الله ﷺ وسوى ثيابه. قال محمد بن حرملة — أحد رواة الحديث — ولا أقول ذلك فى يوم واحد ، فدخل فتحدث . فلما خرج قالت عائشة : دخل أبو بكر فلم تهتش له ولم تباله ، ثم دخل عمر فلم تهتش له ولم تباله ، ثم دخل عثمان فجلست وسويت ثيابك . فقال: ألا أستحى من رجل تستحى منه الملائكة »[1] .

ومن المعلوم أن الحياء كله خير، ومنقبة سيدنا عثمان هنا واضحة فلائكة الرحمن تستحى منه ، وقد أستحى منه أفضل خلق الله وهو رسول الله ﷺ ، وهذه المنقبة خاصة بسيدنا عثمان .

٢ — « وقال رسول الله ﷺ : من يحفر بئر رومة فله الجنة فحفرها عثمان . وقال : من جهز جيش العسرة فله الجنة ، فجهزه عثمان »[2] .

وفى الحديث مناقب ظاهرة لسيدنا عثمان ، وبشارة مبكرة من رسول الله ﷺ له بالجنة ، وسيأتى المزيد والتأكيد لهذا .

٣ — « عن عثمان بن موهب قال : جاء رجل من أهل مصر وحج البيت فـرأى قوما جلوسا ، فقال : من هؤلاء القوم ؟ قال : هؤلاء قريش . قال : فمن الشيخ فيهم ؟ قالوا : عبد الله بن عمر . قال : يابن عمر ، إنى سائلك عن شىء فحدثنى عنه . هل تعلم

---

(١) أخرجه مسلم فى كتاب الفضائل ، باب : فضائل ، عثمان بن عفان ١٥ /١٦٨

(٢) أخرجه البخارى فى حديث الأنبياء ، باب . مناقب عثمان بن عفان رضى الله عنه ٤٣/٧ عن أبى عبد الرحمن السلمى

أن عثمان فر يوم أحد ، قال: نعم ، فقال : تعلم أنه تغيب عن بدر ولم يشهد، قال : نعم ، قال الرجل : هل تعلم أنه تغيب عن بيعة الرضوان فلم يشهدها، قال : نعم ، قال : الله أكبر ، قال ابن عمر : تعالى أبين لك ، أما فراره يوم أحد : فأشهد أن الله عفا عنه وغفر له وأما تغيبه على بدر ، فإنه كانت تحته بنت رسول الله ﷺ وكانت مريضة ، فقال له رسول الله ﷺ : إن لك أجر رجل ممن شهد بدرا وسهمه ، وأما تغيبه عن بيعة الرضوان فلو كان أحد أعز ببطن مكة من عثمان لبعثه مكانه ، فبعث رسول الله ﷺ عثمان، وكانت بيعة الرضوان بعد ماذهب عثمان إلى مكة، فقال رسول الله ﷺ بيده اليمنى هذه يد عثمان ، فضرب بها على يده ، فقال : هذه لعثمان ، فقال له ابن عمر : أذهب بها الآن معك »[١] .

وفضل عثمان فى الحديث واضح كما فيه دفاع عن سيدنا عثمان مما قد يتوهمه بعض الناس فى شأن سيدنا عثمان .

هذا ومناقب سيدنا عثمان بن عفان كثيرة ، ومنها — بخلاف ماسبق — أن رسول الله ﷺ زوجه ابنتيه واحدة بعد الأخرى رضى به ورضى عليه[٢] ، وعندما قال رسول الله ﷺ ليأخذ أحدكم بيد جليه أخذ رسول الله ﷺ بيد عثمان وقال : هذا جليسى الدنيا والآخرة ، وقال : عثمان رفيق فى الجنة ، ذكر كل هذا ابن حجر وزيادة[٣]، وكل هذا يبين فضل ومنزلة سيدنا عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه ، والذى يتعرض هو الآخر إلى سب وطعن الشيعة .

---

(١) أخرجه البخارى فى الكتاب والباب السابقين ٤٧/٧

(٢) هما رقية ثم أم كلثوم رضى الله تعالى عنهما .

(٣) انظر : فتح البارى ٣١٥/٥ ، وانظر: ترجمة لسيدنا عثمان فى البداية والنهاية لابن كثير ٢٦٢/٤ ، وذو النورين للعقاد .

من مناقب الثلاثة خاصة :

وإذا كان ما سبق إشارة إلى بعض مناقب سيدنا أبى بكر ، وسيدنا عمر وسيدنا عثمان رضى الله عنهم جميعا منفردة وخاصة بكل واحد منهم، فإن هناك أحاديث صحيحة جمعتهم الثلاثة وأبرزت فضائلهم عن سائر الصحابة ، فمن الأحاديث التى وردت فى شأنهم الثلاثة فقط :

١ — « عن محمد بن الحنفية قال : قلت لأبى — على بن أبى طالب — أى الناس خير بعد رسول الله ﷺ ؟ قال : أبو بكر ، قلت : ثم من ؟ قال : ثم عمر ، وخشيت أن يقول : عثمان ، قلت : ثم أنت ؟ قال : ما أنا إلا رجل من المسلمين »[1] .

فهــذا سيدنا على يسأله ولده عن خير الناس بعد رسول الله ﷺ فيجيب بهذا الجواب الشافى ، ومن أدبه السامى ، وخلقه السامق ، أن قال عن نفسه ما قال ، مع أنه أفضل الناس على الإطلاق بعد أن استشهد سيدنا عثمان ، وهو تواضع نبيل لا يصدر إلا من عظيم .. وجاء فى الفتح (أن الإجماع إنعقد بآخره بين أهل السنة أن ترتيبهم فى الفضل كترتيبهم فى الخلافة رضى الله عنهم أجمعين[2] .

يقصد أبا بكر ثم عمر ثم عثمان ثم على رضوان الله عليهم جميعا ، والحديث السابق فيه رد مفحم على الشيعة وقد ألقمهم حجرا ، فالقول قول على بن أبى طالب نفسه فى أصحابه قبله .

٢ — وقال الشافعى (أجمع الصحابة وأتباعهم على أفضلية أبى بكر ثم عمر ثم عثمان ثم على)[1] .

---

(١) أخرجه البخارى فى كتاب : حديث الأنبياء ، بعد باب : قول النبى ﷺ : لو كنت متخذا خليلا ٧/٢٥

(٢) فتح البارى لإبن حجر ٧/٢٦ (٣) المرجع السابق ٧/١٣

٢ — وعن أبى موسى الأشعرى قال : كنت مع النبى ﷺ فى حائط من حيطان المدينة ، فجاء رجل فاستفتح، فقال النبى ﷺ: افتح له وبشره بالجنة ، ففتحت له ، فإذا أبو بكر. فبشرته بما قال النبى ﷺ، فحمد الله ثم جاء رجل فاستفتح ، فقال النبى ﷺ : له افتح وبشره بالجنة، ففتحت له ، فإذا هو عمر . فأخبرته بما قال النبى ﷺ . فحمد الله . ثم استفتح رجل ، فقال لى : افتح له وبشره بالجنة على بلوى تصيبه . فإذا عثمان ، فأخبرته بما قال رسول الله ﷺ ، فحمد الله ، ثم قال : الله المستعان»(١) وهذا الحديث جمع الخلفاء الثلاثة ، وبين فضلهم ومنزلتهم عند الله تعالى عن سائر الصحابة .

٣ — وعن أنس بن مالك رضى الله عنه حدثهم أن النبى ﷺ صعد أحدا وأبو بكر وعمر وعثمان فرجف بهم . فقال ﷺ : أثبت أحد فإنما عليك نبى وصديق وشهيدان»(٢) واختصاص الثلاثة رضى الله عنهم فى الفضل والمنزلة واضح .

٤ — وعن نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : كنا نخير بين الناس فى زمان رسول الله ﷺ ، فنخير أبا بكر ثم عمر ثم عثمان رضى الله عنهم»(٣) . وهذا صريح فى فضل الثلاثة عن غيرهم سواء من المهاجرين أم من الأنصار رضى الله تعالى عن الجميع .. وفى رواية أصرح من السابقة .

---

(١) أخرجه البخارى فى حديث الأنبيـــاء ، باب : مناقب عمر ٤٢/٧

(٢) أخرجه البخارى الكتاب السابق ، بعد باب : قول النبى صلى الله عليه وسلم : لو كنت متخذا خليلا ٣٠/٧

(٣) أخرجه البخارى فى حديث الأنبياء ، باب : فضائل أبى بكر ١٣/٧

« عن نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : كنا فى زمن النبى لا نعدل بأبى بكر أحدا ثم عمر ثم عثمان ثم نترك أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم لا نفاضل بينهم »[1] .

وحديث عبد الله بن عمر لا يقصد به التقليل من شأن سيدنا على حيث لم يتناوله فى ترتيب الفضل بعد سيدنا عثمان ، كما هو معلوم عند أهل السنة والجماعة — كما سبق — وللعلماء فيه تأويل ويتأكد منه فضل سيدنا على بن أبى طالب ، وترتيبه فى الفضل بعد سيدنا عثمان ، قال ابن حجر (وقد اتفق العلماء على تأويل كلام ابن عمر هذا ، لما تقرر عند أهل السنة قاطبة من تقديم على بعد عثمان ، ومن تقديم العشرة المبشرة على غيرهم ، ومن تقديم أهل بدر على من لم يشهدها وغير ذلك.

فالظاهر أن ابن عمر إنما أراد بهذا النفى أنهم كانوا يجتهدون فى التفضيل ، فيظهر لهم فضائل الثلاثة ظهورا بينا ، فيجزمون به ، ولم يكونوا حينئذ أطلعوا على التنصيص ، ويؤيده ماروى عن ابن مسعود قال : كنا نتحدث أن أفضل أهل المدينة على بن أبى طالب)[2].

ويظهر أنه يعنى بعد عثمان. وقد ذكر ابن حجر تأويلات كثيرة لقول ابن عمر وخرج منها مايتعلق بالترتيب فى الفضل : أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم على ، رضى الله عنهم وعن جميع الصحابة.

والقصد هنا أن على بن أبى طالب له قدره وفضله ومنزلته ، وأهل

---

(١) أخرجه البخارى فى كتاب : حديث الأنبياء ، باب : مناقب عثمان بن عفان ٧/٤٥

(٢) فتح البارى ٧/٤٦

السنة يعرفون ذلك ويعتقدونه ويؤمنون به ، وهم بذلك يعرفون فضله وقدره أكثر من الشيعة ، وإذا ذكر أهل السنة عليا ذكروا له فضله وقدره ومنزلته، وعرفوا له جهاده فى سبيل الإسلام والدعوة اليه وصاحب الدعوة وقدمه فى الإسلام ، وأنه زوج بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم . السيدة فاطمة رضوان الله تعالى عليها سيدة نساء أهل الجنة، وهو والد الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة ، إلخ .. فنحن نقدره ونوقره أفضل منهم ، إلا أننا لا نغالى كما غالوا .

والمعنى المقصود من كل ما سبق أن هؤلاء هم الخلفاء الراشدون أبو بكر وعمر وعثمان[1] . كان فضلهم واضحا ، ومنزلتهم ظاهرة وهم فى الوقت نفسه يتعرضون لسب ولعن فرق الشيعة إما ظاهرا سافرا — إن كان لهم قوة وسلطان — وإما فى الخفاء إن كانوا قلة وضعفاء .

حكم السب :

إن المسلم طاهر القلب ، سليم العقيدة ، عف اللسان . حافظا للجميل ، غير جاحد للنعم ولمن ساق الله على يديه الخير .. ولقد نهى الإسلام وحذر من الفحش فى القول عامة ، والسب واللعن خاصة ، وفى القرآن الكريم والسنة المطهرة بيان واضح فى هذا ، ونسوق هنا بعض الأدلة .

١ — وعن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: سباب المسلم فسوق وقتاله كفر[2] .

---

(١) الخلفاء الراشدون هم : أبو بكر وعمر وعثمان وعلى وعمر بن عبد العزيز رضى الله عنهم جميعاً .

(٢) أخرجه البخارى فى كتاب : الأدب ، باب : ما ينهى عن السباب واللعن ٣٨١/١٠

٢ — «وعن أبي ذر رضي الله عنه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: لايرمى رجل رجلا بالفسوق ولايرميه بالكفر إلا أرتدت عليه إن لم يكن صاحبه كذلك»(١).

٣ — «وعن أنس قال: لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحشا ولا لعابا ولا سبابا، كان يقول عند المعتبة: ماله ترب جبينه»(٢).

٤ — «عن أبي قلابة أن ثابت بن الضحاك وكان من أصحاب الشجرة حدثه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: من حلف على ملة غير الإسلام كاذبا فهو كما قال، وليس على ابن آدم نذر فيما لا يملك، ومن قتل نفسه بشيء في الدنيا عذب به يوم القيامة، ومن لعن مؤمنا فهو كقتله، ومن قذف مؤمنا بكفر فهو كقتله»(٣).

٥ — «عن المعرور عن أبي ذر قال: رأيت عليه بُرْدا وعلى غلامه بردا، فقلت: لو أخذت هذا فلبسته كانت حلة وأعطيته ثوبا آخر. فقال: كان بيني وبين رجل كلام، وكانت أمه أعجمية فنلت منها، فذكرني إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال لي: أساببت فلانا؟ قلت: نعم، قال أفنلت من أمه؟ قلت: نعم، قال: إنك امرؤ فيك جاهلية، قلت: على ساعتي هذه من كبر السن؟ قال: نعم هم إخوانكم جعلهم الله تحت أيديكم فمن جعل الله أخاه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس ولا يكلفه من العمل ما يغلبه، فإن كلفه ما يغلبه فليعنه عليه»(٤).

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الأدب، باب: ماينهى عن السباب واللعن ١٠/٣٨١

(٢، ٣، ٤) أخرجها البخاري في الكتاب والباب السابقين ١٠/٣٨٢.

٦ — قال رسول الله ﷺ « إن شر الناس من تركه الناس أو ودعه إتقاء فحشه »[1] .

والأحاديث فى النهى عن فحش القول والتحذير من مغبتها وعواقبها كثيرة ...

وقد وردت أحاديث كثيرة كذلك فى النهى والترهيب من سب مخلوقات الله تعالى عامة ، فكيف بمن يسب المسلمين؟ بل وكيف بمن يسب صحابة رسول الله ﷺ وبخاصة أبا بكر وعمر وعثمان .

إن هذا لهو البهتان العظيم . والخزلان المبين .

ومن هذه الأحاديث :

١ — « عن أبى هريرة أن رسول ﷺ :قال الله تعالى : « يسب بنوا آدم الدهر ، وأنا الدهر بيدى الليل والنهار »[2] .

وفى رواية « عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال :

« لا تسموا العنب الكَرْم ، ولا تقولوا : خيبة الدهر ، فإن الله هو الدهر »[3] .

وعند الإمام مسلم عدة روايات منها « على سعيد بن المسيب عن

---

(١) أخرجه البخارى فى الأدب ، باب مايجوز من إغتياب أهل الفساد والريب ٣٨٧/٨

(٢) ، (٣) أخرجهما البخارى فى الأدب ، باب : لا تسبوا الدهر ٤٦٥/١٠

أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : قال الله عز وجل : «يؤذينى ابن آدم يسب الدهر ، وأنا الدهر أقلب الليل والنهار»[1] .

« وعن ابن المسيب عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال الله عز وجل : يؤذينى ابن آدم ، يقول : يا خيبة الدهر ، فلا يقولن أحدكم : يا خيبة الدهر ، فإنى أنا الدهر ، أقلب ليله ونهاره ، فإذا شئت قبضتهما »[2] .

قال النووى (أن العرب كان شأنها أن تسب الدهر عند النوازل والحوادث والمصائب النازلة بها من موت أو هرم أو تلف مال أو غير ذلك ، فيقولون : يا خيبة الدهر ، ونحو هذا من ألفاظ سب الدهر، فقال النبى ﷺ لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر أى لا تسبوا فاعل النوازل ، فإنكم إذا سببتم فاعلها وقع السب على الله تعالى، لأنه هو فاعلها ومنزلها ، وأما الدهر الذى هو الزمان فلا فعل له بل هو مخلوق من جملة خلق الله تعالى ؛ ومعنى فإن الله هو الدهر أى فاعل النوازل والحوادث وخالق الكائنات)[3] والمقصود هنا أن الإسلام حذر من السب بكل صوره ومنها سب الدهر وهو مخلوق لله رب العالمين .

وذهب الإسلام لنقاء وطهارة المسلم إلى آخر مدى حين نهى المسلم عن سب الدواب بل والحشرات . والليل والنهار والشمس والقمر والرياح الخ ، وقد وردت فى كل هذا أحاديث نبوية منها :

---

(١) ، (٢) أخرجهما مسلم فى كتاب : الألفاظ من الأدب ، باب : النهى عن سب الدهر ٣/١٥

(٣) شرح النووى لصحيح مسلم ٣/١٥ ، وانظر : الإتحافات السنية بالأحاديث القدسية للمناوى ص ٢٨٠ ، الحلبى ط ثالثة ١٣٨٨هـ . =

٢ — « عن أنس قال : « سار رجل مع النبى صلى الله عليه وسلم فلعن بعيره ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : يا عبد الله لا تسر معنا على بعير ملعون »[١] .

٣ — «وعن أنس قال : كنا عند رسول الله ﷺ فلدغت رجلا برغوث ، فلعنها ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : لا تلعنها فإنها نبهت نبياً من الأنبياء للصلاة »[٢] .

٤ — عن عبد الله بن مسعود قال . صرخ ديك عند النبى صلى الله عليه وسلم فقال رجل : اللهم العنه ، فقال : لا تسبه ولا تلعنه فانه يدعو إلى الصلاة »[٣] .

٥ — « عن جابر رفعه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «لا تسبوا الليل والنهار ولا الشمس والقمر ، ولا الرياح فإنها ترسل رحمة لقوم وعذاباً لقوم »[٤] .

وكل هذا يبين أن المؤمن قلبه نظيف ولسانه عفيف. حتى فى مثل هذه الأشياء التى لا تعقل .

٦ — إن الإسلام نهى عن سب دين الكفار أمامهم حتى لا يتعرضوا

= ولابن حجر كلام نفيس للغاية فى شرحه لهذا الحديث انظر: فتح البارى ٤٦٦/١٠ ، ٤٦٦/٨

(١) ، (٢) ، (٣) ذكرها ابن حجر فى: المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية تحقيق حبيب الرحمن الأعظمى كتاب: البر والصلة ، باب : النهى عن الفحش ٤٤٣/٢ ، ٤٤٤

(٤) المرجع السابق ٤٤٢/٢ .

لسب دين الإسلام فيسب الدين الحق بسبب سب الدين الباطل ، فلكي يظل الدين الإسلامي في حمى من سب الكفار ، نهى عن سب دينهم ، ويؤيد هذا المسلك الرفيع قوله تعالى « ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدواً بغير علم كذلك زينا لكل أمة عملهم ثم إلى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون »[1] . قال السيوطي (كان المسلمون يسبون أصنام الكفار فيسب الكفار الله ، فأنزل الله تعالى « ولا تسبوا » الآية[2] وقال ابن كثير في الآية (يقول الله تعالى ناهياً لرسوله ﷺ والمؤمنين عن سب آلهة المشركين وإن كان فيه مصلحة إلا أنه يترتب عليه مفسدة أعظم منها ، وهي مقابلة المشركين بسب إله المؤمنين وهو الله لا إله إلا هو)[3] ويتفرع عن هذا ، هذا الحديث .

٧ — « عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه . قيل : يا رسول الله ، وكيف يلعن الرجل والديه ؟ قال : يسب الرجل أبا الرجل فيسب أباه ، ويسب أمه »[4] .

قال ابن حجر (قال ابن بطال : هذا الحديث أصل في سد الذرائع ، ويؤخذ منه أن من آل فعله إلى محرم يحرم عليه ذلك الفعل ، وإن لم يقصد إلى ما يحرم ، والأصل في هذا الحديث قوله تعالى « ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله » الآية ، واستنبط منه الماوردي منع بيع الثوب

---

(١) سورة الأنعام الآية : ١٠٨
(٢) اسباب النزول ص ١٢١
(٣) تفسير القرآن العظيم ١٦٤/٢ .
(٤) اخرجه البخاري في الأدب ، باب : لا يسب الرجل والديه ٣٣١/١٠ .

الحرير ممن يتحقق أنه يلبسه ، والغلام الأمرد ممن يتحقق أنه يفعل به الفاحشة والعصير ممن يتحقق أنه يتخذه خمرا)[1] .

فإذا كان الإسلام الحنيف فعل كل هذا حتى لا يطيل أحد لسانه على أحد من المسلمين بالسب واللعن والشتم ، فما بالنا نرى الكثير من فرق الشيعة — وبخاصة الفاطميون وفلولهم البهرة — يتعرضون لا لسب عامة الناس ، بل لسب قمم الإسلام ، وأشرف وأنبل الناس فى أمة محمد ﷺ وهم الصحابة الأجلاء وبخاصة الخلفاء الراشدون .

أقوال العلماء فيمن يسب الصحابة :

فزع العلماء ممن يتعرض لصحابة رسول الله ﷺ بالسب ، ومن ثم شنعوا عليهم . ورموهم بأخس الصفات المرذولة ، وحكموا عليهم أحكاماً أقلها الفسق ، والكذب ، والشذوذ ، والجهل ، والضلالة ، والفساد ، والإبتداع ، وأكبر الكبائر ، بل ذهب بعضهم إلى رمية بالزندقه والكفر واذكر هنا بعض أقوال بعضهم .

قال الإمام النووى : (إن سب الصحابة رضى الله عنهم حرام من الفواحش المحرمات سواء من لابس الفتن منهم وغيره ، لأنهم مجتهدون فى تلك الحروب متأولون ... وقال القاضى : وسب أحدهم من المعاصى الكبائر ، ومذهبنا ومذهب الجمهور أنه يعزر ولا يقتل)[2] .

وقال الإمام أبو زرعة الرازى : وهو من أجل شيوخ البخارى : (إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ فأعلم أنه

---

(١) فتح البارى ٣٣١/١٠

(٢) شرح النووى لصحيح مسلم ٩٣/١٦

لا تدليق ، وذلك أن الرسول ﷺ حق والقرآن الكريم حق ، وماجاء به حق ، وإنما أدى إلينا ذلك كله الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين ، فمن جرحهم إنما أراد إبطال الكتاب والسنة ، فيكون الجرح بهم ألصق ، والحكم عليه بالزندقة والضلالة والكذب والفساد هو الأقوم الأحق)[١].

وقال ابن حجر الهيثمي: (لو لم يرد من الله تعالى ورسوله عليه الصلاة والسلام فيهم — أى الصحابة — شيء مما سبق — من الآيات والأحاديث — لأوجبت الحال التى كانوا عليها من الهجرة ، والجهاد ، ونصرة الإسلام ، وبذل المهج والأموال وقتل الآباء والأولاد ، والمناصحة فى الدين ، وقوة الإيمان ، واليقين القطع بتعديلهم ، والإعتقاد بنزاهتهم ، وأنهم أفضل من جميع الجائين بعدهم ، والمعدلين الذين يجيئون من بعدهم هذا مذهب كافة العلماء ، ومن يعتد قوله ، ولم يخالف فيه إلا شذوذ من المبتدعة الذين ضلوا وأضلوا ، فلا يلتفت إليهم ، ولا يعول عليهم)[٢] .

وقال أبو منصور البغدادى : (يجب الإمساك عما وقع بينهم من الاختلاف صفحا عن أخبار المؤرخين ، لاسيما جهلة الروافض ، وضلال الشيعة والمبتدعين القادحين فى أحد منهم)[٣] .

وقال الإمام مالك : (من شتم النبى ﷺ قتل ومن سب أصحابه أدب)[٤] .

وقال عبد الملك بن حبيب : (من غلا من الشيعة إلى بغض عثمان والبراءة أدب أدباً شديداً ، ومن زاد إلى بغض أبى بكر وعمر فالعقوبة عليه أشد ، ويكرر ضربه ، ويطال سجنه حتى يموت ، ولا يبلغ به القتل)[٥]

(١،٢،٣،٤) حكم سب الصحابة ، إعداد أبو معاوية بن محمد ص ٢٦ ، ٢٣ ، ٢٧ ، ٣٣ دار الأنصار ، ط أولى ١٣٩٨ هـ — ١٩٧٨ م

(٥) المرجع السابق ص ٣٢ ، ٣٣

وقال ابن تيمية : (من سب أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ من أهل بيته وغيرهم فقد أطلق الإمام أحمد أنه يضرب ضرباً نكالا ، وتوقف على قتله وكفره ... قال أيضاً : ما أراه على الإسلام ... وقال : لايجوز لأحد أن يذكر شيئاً من مساويهم ، ولا يطعن على أحد منهم بعيب ولانقص ، فمن فعل ذلك فقد وجب تأديبه وعقوبته ، وجلده — الحاكم — فى الحبس حتى يموت أو يراجع ... وقال ابن راهويه : من شتم أصحاب النبى ﷺ يعاقب ويحبس ... وقال ابن أبى موسى ومن سب السلف من الروافض فليس بكفوء ولا يزوج ؛ ومن رمى عائشة رضى الله عنها بما برأها الله تعالى منه فقد مرق من الدين ، ولا ينعقد له نكاح مسلمة إلا أن يتوب ويظهر توبته)[١] .

وقال ابن حجر : (اختلف فى سباب الصحابى فقال عياض : ذهب الجمهور أنه يعذر ، وعن بعض المالكية يقتل ، وخص بعض الشافعية ذلك بالشيخين والحسنين — الحسن والحسين ولدا على بن أبى طالب — فحكى القاضى حسين فى ذلك الوجهين ، وقواه السبكى فى حق من كفر الشيخين ، وكذا من صرح النبى ﷺ بإيمانه وتبشيره بالجنة إذا تواتر الخبر بذلك عنه لما تضمن من تكذيب رسول الله ﷺ)[٢] .

وقال ابن كثير : (يا ويل من أبغضهم أو سبهم أو أبغض أو سب بعضهم ، ولا سيما سب الصحابة بعد الرسول ﷺ ، وخيرهم وأفضلهم أعنى الصديق الأكبر ، والخليفة الأعظم أبا بكر بن أبى قحافة رضى الله عنه فإن الطائفة المخذولة من الرافضة يعادون أفضل الصحابة ويبغضونهم ويسبونهم عياذا بالله من ذلك ، وهذا يدل على أن عقولهم معكوسة ،

---

(١) المرجع السابق ص ٣٢ ، ٣٣

(٢) فتح البارى ٧/٢٨

وقلوبهم منكوسة ، فأين هؤلاء من الإيمان بالقرآن إذ يسبون من رضى الله عنهم ، أما أهل السنة فإنهم يترضون عمن رضى الله عنه ، ويسبون من سبه الله ورسوله ، ويوالون من يوالى الله تعالى ، ويعادون من يعادى الله ، وهم متبعون لا مبتدعون ، ويقتدون ولا يبدون ، ولهذا هم حزب الله المفلحون ، وعباده المؤمنون)[1] .

وقال فى موضع آخر : (عن المغيرة قال : كان يقال : شتم أبى بكر وعمر رضى الله عنهما من الكبائر ، قلت — ابن كثير — وقد ذهب طائفة من العلماء إلى تكفير من سب الصحابة رواية عن مالك بن أنس رحمه الله وقال محمد بن سيرين . ما أظن أحدا يبغض أبا بكر وعمر وهو يحب رسول الله ﷺ)[2] .

وقال القاضى أبو يعلى : (الذى عليه الفقهاء فى سب الصحابة إن كان مستحلا لذلك كفر ، وإن لم يكن مستحلا فسق) والفاسق يؤدب ، وقد أدب عمر بن عبد العزيز — الخليفة الراشد الخامس — رجلا سب عثمان ابن عفان وجلده ثلاثين جلدة ، وفعل ذلك فى آخر شتم معاوية بن أبى سفيان[3] .

قال أحمد بن يونس : (لو أن يهوديا ذبح شاة ، وذبح رافضى لأ كلت ذبيحة اليهودى ولم آكل ذبيحة الرافضى لأنه مرتد عن الإسلام)[4] .

وقد قطع جماعة من الفقهاء من أهل الكوفة وغيرهم بقتل من سب الصحابة ، وكفر الرافضة[5] .

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٣٨٤/٢
(٢) المرجع السابق ٤٨٦/١
(٣) انظر : حكم سب الصحابة ص ٣٣
(٤،٥) المرجع السابق ص ٣٤

والأصل فى أقوال العلماء هذه — بخلاف ماسبق — ما جاء فى السنة «عن أبى سعيد قال : قال النبى ﷺ : «لا تسبوا أصحابى ، فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه»[١] .

هذا واقوال العلماء فيهم كثيرة ولا استطيع ذكر جميعها هنا ... وما مضى كاف فى الحكم عليهم ... وما مضى — أيضا عام فى كل من تعرض لصحابة رسول الله ﷺ ، ورضى الله تعالى عنهم اجمعين[٢] .

اقوال العلماء فى الفاطميين :

ذهب العلماء الفقهاء إلى ان الفاطميين فرقة لاصلة لها بآل البيت لامن حيث النسب ولا من حيث الاعتقاد ، وقد ارتكبوا الفواحش ، وعاثوا فى الأرض فساداً ، واحدثوا البدع والخرافات والأوهام فى بلاد المسلمين ، وانقل هنا بعض ما اورده الإمام ابن كثير عن هذه الفرقة ، قال : (وكان أول من ملك منهم المهدى ، وكان من سليمة حدادا إسمه عبيد ، وكان يهوديا ، فدخل بلاد المغرب وتسمى بعبيد الله ، وادعى انه شريف علوى فاطمى ... وهذا الدعى الكذاب راج له ما افتراه فى تلك البلاد ، ووازره جماعة من الجهلة ، وصارت له دولة وجولة ، ثم تمكن إلى ان بنى مدينة سماها المهدية نسبة إليه ، وصار ملكا مطاعا يظهر الرفض وينطوى على الكفر المحض .

ثم كان من بعده ابنه القائم محمد ثم ابنه المنصور إسماعيل ، ثم ابنه المعز معد ، وهو أول من دخل ديار مصر ، وبنيت له القاهرة)[٣] .

---

(١) اخرجه البخارى فى حديث الأنبياء ، بعد باب : قول النبى : لو كنت متخذا خليلا ٢٦/٧

(٢) وانظر هذا مفصلا : فضائح الباطنية للإمام الغزالى .

(٣) البداية والنهاية ٨٨٧/٦

ثم ذكر بن كثير أسماء هؤلاء الملوك الفاطميين الذى تملكوا مصر لمدة مائتان ونيف وثمانون سنة إلى أن مزقهم صلاح الدين الأيوبى ثم قال : (وقد كان الفاطميون أغنى الخلفاء وأكثرهم مالا . وكانوا من أغنى الخلفاء وأجبرهم وأظلمهم . وأنجس الملوك سيرة ، وأخبثهم سريرة . وظهرت فى دولتهم البدع والمنكرات ، وكثر أهل الفساد ، وقل عندهم الصالحون من العلماء والعباد ، وكثر بأرض الشام النصرانية والدرزية والحشيشة ... وقتلوا من المسلمين خلقاً وأمما لا يحصيهم إلا الله ، وسبوا ذرارى المسلمين النساء والولدان مما لا يحد ولا يوصف ...

قال أبو شامة: وقد أفردت كتاباً سميته (كشف ما كان عليه بنو عبيد من الكفر والكذب والمكر والكيد) وكذا صنف العلماء فى الرد عليهم كتباً كثيرة ، من أجل ما وضع فى ذلك كتاب القاضى أبو بكر الباقلانى الذى سماه (كشف الأسرار وهتك الأستار)[1] .

كشف فيه فضائحهم وقبائحهم . ووضح أمرهم لكل الناس وقال ابن كثير فى موضع آخر من أحداث سنة أثنتين وأربعمائة من الهجرة ، أن الأئمة والعلماء فى البــلاد الإسلامية طعنوا فى نسب الفاطميين . وبينوا كذبهم وهاك نص عبارته (وفى ربيع الآخر منها كتب هؤلاء ببغداد محاضر تتضمن الطعن والقدح فى نسب الفاطميين ، وهم ملوك مصر وليسوا كذلك . وإنما نسبهم إلى عبيد بن سعد الجرمى ، وكتب فى ذلك جماعة من العلمــاء والقضاة والأشراف والعدول والصالحين والفقهاء والمحدثين ، وشهدوا جميعــاً أن الحاكم بمصر هو منصور بن نزار الملقب بالحاكم ... ابن معد بن إسماعيل بن عبد الله بن سعد ، لا أسعده الله ، فإنه لمــا صار إلى بلاد المغرب تسمى بعبيد الله ، وتلقب بالمهدى ، وأن من تقدم من سلفه

---

(١) المرجع السابق ٧٨٨/٦

أدعياء خوارج ، لانسب لهم فى ولد على بن أبى طالب ، ولا يتعلقون بسبب وأنه منزه عن باطلهم ، وأن الذى أدعوه إليه باطل وزور ، وأنهم لا يعلمون أحداً من أهل بيوتات على بن أبى طالب توقف عن إطلاق القول فى أنهم خوارج كذبة .

وقد كان هذا الإنكار لباطلهم شائعاً فى الحرمين ، وفى أول أمرهم بالمغرب منتشراً إنتشاراً يمنع أن يدلس أمرهم على أحد ، أو يذهب وهم إلى تصديقهم فيما ادعوه ، وأن هذا الحاكم بمصر هو وسلفه كفار فساق فجار، ملحدون زنادقة ، معطلون ، وللإسلام جاحدون ، ولمذهب المجوسية والثنوية معتقدون، وقد عطلوا الحدود وأباحوا الفروج، وأحلوا الخمور ، وسفكوا الدماء ، وسبوا الأنبياء ولعنوا السلف وادعوا الربوبية . .

وقد كتب خطه فى المحضر خلق كثير، فمن العلويين: المرتضى والرضى وابن الأزرق الموسوى ، وأبو طاهر بن أبى الطيب ، ومحمد بن محمد بن أبى يعلى .

ومن القضاة : أبو محمد بن الأكفانى ، وأبو القاسم الجزرى ، وأبو العباس بن الشيورى .

ومن الفقهاء : أبو حامد الإسفرايينى ، وأبو محمد بن الكسفلى ، وأبو الحسن القدورى ، وأبو عبد الله الضميرى، وأبو عبد الله البيضاوى، وأبو على بن حكان .

ومن الشهود : أبو القاسم التنوخى فى كثير منهم ، وكتب فيه خلق كثير[1] .

وهكذا شنع عليهم العلماء من جميع التخصصات وأنهم لا نسب لهم إلى

---

(١) المرجع السابق ٦/٤٤١

على بن أبى طالب ، ولا إلى السيدة فاطمة رضى الله تعالى عنهما ، وزعمهم فى هذا كله باطل ، ولا برهان لهم عليه .

أقوال العلماء فى فرقة البهرة :

وإذا كان جميع العلماء كشفوا عن أخطار وفظائع وفضائح الفاطميين فى عهدهم وإذا كان — كذلك — البهرة إحدى فلولهم المقهورة والتى يعيش أفرادها بيننا فى عصرنا هذا وكانت البهرة تعتقد ما كان يعتقده الفاطميون ومازالوا به متمسكين وعلى طريقتهم يسلكون ، إذا كان ذلك كذلك فماذا يقول علماء اليوم فى هذه الفرقة؟

يقول الأستاذ : مصطفى الشكعة : إن البهرة من نسل الفاطميين الذين كانوا يحكمون مصر ، وقضى على دولتهم الشيعية القائد صلاح الدين . . ويعتبرون مصر دولتهم ، ولهم فيها أطماع من قديم الزمان ، لما يوجد فى مصر من أهل البيت الذين يدعون نسبهم إليهم ، لكن الحقائق التاريخية تكشف زيف إدعاءاتهم .. إن هذه الطائفة تتبع المذهب الشيعى ، ومن طقوسهم تأليه السلطان — برهان الدين — وقد بدأت صلتهم بمصر منذ عشرين عاماً عن طريق تقديم الهدايا فى شكل مقصورات كبيرة للمشهد الحسينى والزينبى ، بعد ذلك بدأوا فى تجميل مسجد الحاكم بأمر الله وترميمه على أحدث طراز معمارى ... ويسيطرون على نصف ممتلكات حى الجمالية من محال وشقق وعقارات ...

وهذه الطائفة تظهر لنا غير ما تبطن ، فهم يهدفون إلى نشر المذهب الشيعى وصلاتهم ليست لله وإنما لإمامهم ، وكذلك حجهم .. والدليل أنهم كانوا يتخذون من القاهرة مزاراً يحجون إليه بإعتبارها مركز الأمام أيام الدولة الفاطمية ، لذلك فلا عجب أن يتطلعوا لشراء مناطق كثيرة من القاهرة — بالذات — ولو كلفهم هذا كنوز الدنيا .

ويقول منصور الرفاعي وهو وكيل وزارة الأوقاف لشئون المساجد، ومدير إدرة أوقاف القاهرة : إنهم لا يغادرون مسجد الحاكم بأمر الله انتظاراً للمهدى المنتظر .

وأمثال هذه الجماعات والطوائف ظهرت بعد الهزات السياسية العنيفة في المجتمعات الإسلامية ..

وحذر الرفاعي من الموافقة على تمليك أفراد هذه الطائفة محالا أو شققاً أو عقارات، مهما كان الثمن ، أو توثيقها لهم بمصلحة الشهر العقاري ..

ويقول الشيخ شعبان الغرباوى مدير أوقاف غرب القاهرة : لقد رفعنا مذكرة تفصيلية عن نشاط هذه الطائفة إلى مكتب وزير الأوقاف أشرنا فيها إلى أن هؤلاء البهرة يمارسون طقوساً أبعدما تكون عن الإسلام ، وطالبنا الوزارة بضرورة التصدى لهم ، وعدم السماح لأفرادها بممارسة هذه الطقوس المعيبة ..

ويقول الدكتور سيد رزق الطويل: إن التصدى لهؤلاء واجب قومى، ويبدأ بتوعية الشعب في أنه لا ينبغى لأى إنسان أن يفرط في أى جزء من أرض وطنه ، مهما كان الثمن ، لأن العقيدة أغلى من أى ماديات ، وعلى المسئولين أن ينتبهوا إلى هدف هؤلاء البهرة والذين ينشرون سمومهم بين المواطنين ، وليعلم الجميع أن القضية ليست قضية ترميم المساجد ، ولا يجوز قبول هذه الأموال التى أخذت من شعب فقير[1] .

---

(١) انظر : تحقيق صحافى قام به/ محمود رافع بجريدة السياسى المصرى، العدد ٩٦٣ ص ٥ .

وقد حذر السيد حسب الله الكفراوى وزير الإسكان والتعمير وزارة الأوقاف أكثر من مرة من خطورة فرقة البهرة[1] .

وهنا نجد أن الجميع يدرك خطورة هذه الفرقة وبخاصة فى بلادنا، ويجب أن يعودوا من حيث أتوا ، وتبقى مصر شامخة حامية للإسلام ، ورافعة لواء اهل السنة والجماعة ، ولا يشغلها وتتفرع بها السبل وتجاهد فى سبيل الإسلام ونشر أحكامه وتنفيذ شريعته، بدلا من هذه التشعبات التى قد تشغلها عن آداء رسالتها المنوطة بها نحو الإسلام والمسلمين فى كل أرجاء أرض الله .

ونرجوا ، وندعوا الله تبارك وتعالى أن يهدى أفرادها إلى التوبة النصوح مما قد عشش فى عقولهم من أوهام وضلالات ، وحينئذ فهم منا ونحن منهم ، ولهم مالنا وعليهم ما علينا ، وعودتهم إلى ساحة الإسلام، واتباعهم نهج أهل السنة والجماعة يكونوا معهم على من عاداهم، وهذا يغلق أبوابا كثيرة من الشرور والتفرق والتمزق والصراع ، ويتحد الجميع أمام خصوم الإسلام — وما أكثرهم — ويواجهونهم بدلا من الانصياع إلى غرضهم الخبيث من تشتيت وتفريق أمة الإسلام — الأمة الواحدة ...

وإذا ركب الشيطان رءوسهم ، وعشش وباض وأفرخ فى قلوبهم ، فإن الله تعالى خاذلهم كما خذل أسلافهم من الفاطميين الباطنيين .

وقد استجاب الله تعالى لدعاء الصالحين عليهم ، واذكر هنا موقفين من هذا أحدهما من خيرة صحابة رسول الله ﷺ ، والثانى من خيرة التابعين رضى الله تعالى عنهم .

---

(١) انظر : مجلة روز اليوسف العدد ٣٤٣٣ ص ٣٧

١ — سيدنا سعد بن أبي وقاص :

بعد وفاة الخلفاء الراشدين الأربعة رضوان الله تعالى عليهم ، كان بعض الفسقة وضعاف الإيمان يتعرضون لبعض الصحابة بالسب ، وقد حدث أن سب رجلا عليا ، وفى رواية سب عليا وطلحة والزبير ، وكان سيدنا سعد لا يطيق ذلك ، وكان — كما هو معروف — مستجاب الدعوة[١] ، ولندع ابن كثير يروى لنا (أن سعد بن أبي وقاص رأى جماعة عكوفا على رجل ، فأدخل رأسه من بين اثنين ، فإذا هو يسب عليا وطلحة والزبير ، فنهاه عن ذلك فلم ينته فقال : أدعو عليك، فقال الرجل: تتهددنى كأنك نبى ؟ ! فانصرف سعد فدخل دار آل فلان فتوضأ وصلى ركعتين ، ثم رفع يديه فقال : اللهم إن كنت تعلم أن هذا الرجل قد سب قوما قد سبق لهم منك سابقة حسنى وأنه قد أسخطك سبه إياهم ، فاجعله اليوم آية وعبرة . قال فخرجت بختية نادة من دار آل فلان ، لا يردها شىء حتى دخلت بين أضعاف الناس ، فافترق الناس ، فأخذته بين قوائمها فلم يزل تتخبطه حتى مات ، قال : فلقد رأيت الناس يشتدون وراء سعد يقولون : استجاب الله دعاءك يا أبا إسحاق[٢]) .

٢ — سيدنا سعيد بن المسيب :

فقيه الفقهاء ، وعالم العلماء ، وسيد التابعين[٣] ، رأى رجلا فى عصره

(١) سيدنا سعد بن أبي وقاص : أحد أصحاب رسول الله ﷺ، وأحد العشرة المبشرين بالجنة ، وأحد الستة الذين توفى رسول الله ﷺ وهو راض عنهم ، انظر : ترجمة له فى البداية والنهاية ٥٦٦/٤ .

(٢) المرجع السابق ٥٧٣/٤ ، ٣٢٥ .

(٣) انظر نبذة عن حياته فى كتاب : من أعلام الدعوة الإسلامية : سيدنا سعيد بن المسيب رضى الله عنه للمؤلف .

يسب بعض أصحاب رسول الله ﷺ فإذا حدث من سعيد بن المسيب ، لندع ابن أبي الدنيا يذكره لنا (عن علي بن زيد بن جدعان قال : كنت جالسا إلى سعيد بن المسيب فقال : يا أبا الحسن مر قائدك فيذهب بك فينظر إلى وجه هذا الرجل ، وإلى جسده ، فانطلق ، فإذا وجهه وجه زنجي ، وجسده أبيض . فقال سعيد : إني أتيت على هذا وهو يسب طلحة والزبير وعليا عليهم السلام ، فنهيته فأبى . فقلت : إن كنت كاذبا فسود الله وجهك ، فخرجت من وجهه قرحة ، فاسود وجهه[1] .

فدعاء العلماء والفقهاء والصالحين مستجاب وبخاصة فيمن يتعرض لأصحاب رسول الله ﷺ بالسب .

وأختم هذا بهذه العجيبة .

عجيبة من العجائب :

عندما جاء الفاطميون إلى مصر فعلوا بها الأعاجيب — كما سبق — ومن هذا أنهم بنوا الجامع الأزهر لتدريس المذهب الشيعي ، ليكون بديلا عن مذهب أهل السنة والجماعة ، وليتم ذلك اجتهدوا في أن يكون الأزهر مكانا لتخريج من يحمل أمانة تعلم ونشر المذهب الشيعي ليعم ويسود كل الأقاليم التي سيطروا عليها في مدة حكمهم . وكما هو معروف فقد خيب الله ظنهم ، وصار الأزهر ، بحمد الله تعالى — حصنا منيعا من حصون الإسلام ، وقلعة شامخة للدفاع عن أهل السنة والجماعة ، كما يقوم الأزهر بالرد على أباطيل خصوم الإسلام ، وتفنيد آراء ومذاهب الشيعة .

---

(١) مجابو الدعوة لابن أبي الدنيا ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا ص ١٠٧ ؛ دار الكتب العلمية ؛ وانظر : سير أعلام النبلاء للإمام الذهبي ٢٤٢/٤ مؤسسة الرسالة .

والمهم هنا ، أنه فى عصر حكمهم لمصر كانوا يتعرضون لسب الكثير من صحابة رسول الله ﷺ ، وبخاصة الشيخين الجليلين أبا بكر الصديق ، وعمر الفاروق ، ولندع النبهانى يذكر لنا بنفسه هذه العجيبة ، لعل الشيعة يرتدعون ويخافون سوء عاقبة مايقولون ويفعلون يقول النبهانى (قد صح الخبر عن غير واحد أنه فى زمن فاطمية مصر كانوا يجتمعون بالمدينة يوم عاشوراء فى قبة العباسى ، ويسبون الشيخين والصحابة ، فجاء رجل فقال : من يطعمنى فى محبة أبى بكر ؟ فخرج إليه شيخ وأشار إليه أن اتبعنى ، فأخذه إلى بيته ، وقطع لسانه ووضعه فى يده ، وقال : هذه بمحبة أبى بكر ، فذهب الرجل إلى المسجد النبوى وسلم على رسول الله ﷺ والشيخين ، ورجع ولسانه فى يده ، وعند باب المسجد غلبه النوم ، فرأى النبى فى منامه ومعه أبو بكر ، فقال لأبى بكر : إن هذا قطعوا لسانه فى محبتك ، فرد عليه لسانه ، فقال : فأخرج اللسان من يده ، ووضعه فى محله ، فانتبه الرجل ، فإذا لسانه كما كان قبل القطع وأحسن ، ورجع إلى بلاده ، فلما كان العام القادم رجع إلى المدينة ، ودخل القبة يوم عاشوراء ، وطلب شيئا بمحبة أبى بكر ، فخرج إليه شاب ، وقال : اتبعنى فتبعه ، فأدخله الدار التى قطع فيها لسانه ، فأكرمه الشاب ، فقال الرجل : إنى تعجبت من هذا البيت ، لقيت فيه العام الماضى مصيبة ومهانة ، وهذه لقيت ما أرى من الإكرام ، فقال الشاب : كيف القصة . فأخبرته بالقصة ، فانكب على يديه ورجليه ، فقال : ذلك أبى ، وقد مسخه الله قردا ، وكشف عن ستاره فأراه قردا مربوطا وأحسن إليه ، وتاب عن مذهبه ، وقال : اكتم علىّ أمر والدى[1]) . فهل يتوب أهل الشيعة عن مذهبهم ،

(١) علامات قيام الساعة الصغرى والكبرى ، للشيخ يوسف بن إسماعيل النبهانى ص ٥٧ ، دار ابن حزم ، وقال ذكر هذه القصة : السيد السمهودى وابن حجر فى الزواجر والصواعق .

ويرجعون إلى الإسلام الحق ، ولا يتعرض أحدمنهم لسب أصحاب رسول الله ﷺ ، ويصبحوا قوة تعضد قوة أهل السنة ، ليقفوا صفا واحدا كالبنيان المرصوص ، ليواجهوا خصوم الإسلام ويعملوا جميعاً على نشر وتطبيق أحكام الشريعة الإسلامية ، ليعود للاسلام مجده ، وإلا تعرضوا لمثل هذا الخزلان والعياذ بالله ، ودب الشقاق والصراع بينهم ، وخربت بيوتهم ، وبلادهم ، وسلط عليهم أعداؤهم ، وانهزموا أمامهم . هذا فى الدنيا ، وهم فى الوقت ذاته محسبون من أهل الإسلام . هذا فضلا عن خزلانهم يوم القيامة ..

اللهم إنى ادعوك أن تهدى الضالين ، وأن يعود الشاردون إلى ساحة الإسلام ، وان تجمع المسلمين على كلمة الحق ، وأن تنصرنا على اعدائك أعداء الدين ، وأن تعز الإسلام والمسلمين فى كل زمان وفى كل مكان ، وصلى الله تعالى وسلم على سيدنا محمد النبى الأمى الكريم ،وعلى آله واصحابه أجمعين .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

خاتمــة

بمجمل القول فيما قدمته حول فرقة البهرة أن نستخلص عدة نقاط ذات أهمية :

النقطة الأولى :

إن الدولة — أية دولة — إذا كانت عقيدتها قائمة على التوحيد الخالص لله رب العالمين ، والإيمان الراسخ بما جاء به خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد ﷺ صافياً نقياً ، دون محاولة لى أعناق الآيات والأحاديث ، لمآرب خبيثه ، وعملت هذه الدولة بكل ما فى وسعها ، وبذلت كل طاقاتها ، وجندت كل مؤسساتها . ووجهت كل أفرادها — فى كل ضروب الحياة — إلى تطبيق وتنفيذ أحكام شرع الله تعالى ، والعمل على تمكينه على أرض الله ، وتجنيد كل الأجهزة لنشر وذيوع الإسلام فى ربوع الدنيا ، إن الدولة —أية دولة— إذا قامت بهذا كتب لها البقاء ، وسادها الأمن والرخاء، وكتب لها العزة والنصر على الأعداء..
أما إذا انحرفت عن عقيدة التوحيد الخالص ، وصادمت الفطر السوية ، وبعدت عن منهاج شرع الله تعالى.. وظهر فيها الفسق والفجور ،وزاعت البدع والأساطير ، وانتشرت بين أفرادها ومؤسساتها التيارات الفكرية الهابطة البالية من مذاهب الإلحاد،والتغريب والعلمانية والعقائد والمذاهب السقيمة المجلوبة من الخارج .. إنها إن سلكت هذا الطريق الوعر فإنها ما تلبث أن تنهار ، وتقوض دعائمها ، ويذل أبناؤها ، ويسود التفرق والصراع الإجتماعى بكل صوره وأبعاده المدمرة وينزع منها البركة،وتحل بها الكوارث وتكون مطمعاً للأعداء ، ثم تدور عليها الدائرة،فتكون أثراً بعد عين . وقد حدث هذا لكثير من الدول والحضارات ، ومنها الدولة الفاطمية .

النقطة الثانية :

إن على الدعاة المخلصين أن يرصدوا كل انحراف عن شرع الله تعالى ويدرسوا أسبابه وأساليبه ونتائجه .. وأن يبينوا الناس — كل الناس — أضرار المعتقدات السقيمة المستوردة ، وأن يكونوا على وعى كامل بما يدبر ضد المسلمين فى الظاهر وفى الخفاء،وأن يلاحقوها فى مهدها وتفنيدها قبل أن تتفشى وتضرب أنيابها السامة القاتلة فى كيان المجتمع ، وتتمكن من ضعاف النفوس وبخاصة ممن يضمرون العداء للاسلام ، ويغيظهم تنفيذ أحكامه ، وهنا يكون الحل قد يصبح صعب المنال ..

النقطة الثالثة :

إن الدول — كل الدول — تحاول جاهدة بكل مؤسساتها التربوية والتثقيفية والإعلامية إبراز معالم ذاتيتها وبخاصة من خلال رجالاتها،وبث روح الحب والتقدير لهم،وجعلهم قدوة للأجيال .. ومهما كان عند هذه الدول من رجال ، فلن يبلغوا ما بلغه أحد صحابة ﷺ ، لما كان يحمله من عناصر الخير لكل الدنيا ، وبه أشرقت الأرض ، فلهم كل الحب والتوقير والتقدير من كل مسلم ، ويجب أن يبث هذا فى أفئدة المؤمنين .. وعلينا أن نقف بالمرصاد لكل من يحاول التقليل لرسالتهم ، أو تشويه حياتهم ، أوسب وطعن فى أخلاقهم ، فهم القدوة والمثل ،وهم أعمدة الأمة الإسلامية ، ومعالم حضارتها الرفيعة ، رضى الله تعالى عنهم أجمعين .

النقطة الرابعة :

إن خصوم الإسلام من الداخل . والذين يتبنام الأعداء، ويرغبون فى التشويش على الإسلام وأهله ، وانحسار مده وانتشاره ، لهم أشد خطراً على الإسلام من خصومه من خارجه، وهؤلاء يفعلون الأعاجيب

ضد الإسلام ، حتى يؤتى الإسلام من قبـــل أهله ، وهؤلاء الأعداء يتربصون ويخططون لهم ، وهم فى الوقت ذاته يدّعون البراءة من مناهضتهم للاسلام ، وهنا مكمن الخطر ، فهم يتبنون الفرق الخارجة عن الإسلام مثل القديانية والبابية والبهائية والكثير من فرق الشيعة ومنهم فرقة البهرة.. وأصحاب هذه التيارات والفرق المعادية للاسلام فى الوقت نفسه محسوبة على الإسلام ، وداخلون ضمن أهله . . فهم يحاولون تقويض الدعائم الأساسية للاسلام ، ونشر بذور الفرقة بين الأمة الإسلامية الواحدة . وتشميت الأعداء فى أهل الإسلام . . وعلى هذا يجب الحذر من هؤلاء وهؤلاء .. وندعو كل أصحاب هذه التيارات وهذه الفرق أن يعودوا إلى ساحة الإسلام النقية الطاهرة، ويكونوا مع أهل السنة والجماعة يد واحدة على من سواهم من خصوم الإسلام .

هذا وبالله التوفيق ؟

الدكتور

محمد رمزى أحمد فواز

المراجـع

١ ـ القرآن الكريم .

٢ ـ أسباب النزول ، السيوطى ، مكتبة قصير .

٣ ـ إسلام بلا مذاهب د/مصطفى الشكعة ، الحلبى.

٤ ـ السيرة النبوية ، ابن هشام ، مكتبة حميدو .

٥ ـ الشيعة ، الدروز ، المهدى ، د / عبد المنعم النمر ، دار الحرية ١٤٠٨ هـ .

٦ ـ الشيعة عقائدهم وأحكامهم ، السيد أمير محمد الكاظمى القزوينى دار زهراء .

٧ ـ العقائد الشيعية ، ناصر الدين شاه ، ط أولى ١٤٠٧ .

٨ ـ الفرق بين الفرق ، البغدادى ، الحلبى .

٩ ـ الملل والنحل ، الشهرستانى ، الحلبى ط ١٣٩٦

١٠ ـ المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية ، ابن حجر .

١١ ـ المواقف فى علم الكلام ، عبد الرحمن بن أحمد الإيجى ، مكتبة المتنبى .

١٢ ـ تاريخ الطبرى ، دار المعارف .

١٣ ـ تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير ، دار الفكر .

١٤ ـ توضيح العقيدة ، محمد حسين المصرى ، الحلبى .

١٥ ـ تلبيس إبليس ، ابن قيم الجوزية ، مكتبة الدعوة ط ١٣٦٨

١٦ ـ حكم سب الصحابة ، أبو معاوية بن محمد ، دار الأنصار ١٣٩٨

١٧ — دائرة المعارف ، بطرس البستانى ، دار المعرفة ، بيروت .

١٨ — سير أعلام النبلاء ، الذهبى ، مؤسسة الرسالة .

١٩ — شرح النووى لصحيح مسلم ، المطبعة المصرية .

٢٠ — صحيح البخارى ، دار إحياء التراث العربى ، بيروت .

٢١ — صحيح مسلم ، المطبعة المصرية .

٢٢ — ضحى الإسلام ، أحمد أمين ، مكتبة النهضة المصرية .

٢٣ — طائفة الدروز ، محمد كامل حسين ، دار المعارف .

٢٤ — علامات قيام الساعة الصغرى والكبرى ، يوسف بن إسماعيل النبهانى دار بن حزم .

٢٥ — غلاة الشيعة ، د/فتحى الزغبى ، مطابع غباشى طنطا .

٢٦ — فتح البارى بشرح صحيح البخارى ، ابن حجر ، دار إحياء التراث العربى ، بيروت .

٢٧ — فى الهند وقصة الباكستان ، محمد حسن الأعظمى ، دار الفكر العربى .

٢٨ — فضائح الباطنية ، الإمام الغزالى ، توزيع المكتب الثقافى .

٢٩ — مجابو الدعوة ، ابن أبى الدنيا ، دار الكتب العلمية .

٣٠ — مروج الذهب ، المسعودى ، دار الفكر العربى ط ١٩٧٣ م

٣١ — الإتحافات السنية بالأحاديث القدسية ، المناوى ، الحلبى ، ١٣٨٨ هـ .

دوريات

— مجلة الأزهر . — مجلة روز اليوسف .

— جريدة السياسى المصرى .

الفهرس

الموضوع	الصفحة

رقم الإيداع بدار الكتب
٩٩٥٦ / ١٩٩٢ م
I , S . B , N — 977 — 00 —4430 — x
١٣من جمادى الآخرة ١٤١٣ هـ — ٧ من ديسمبر ١٩٩٢ م